

أحكام دار البرزخ

دراسة عقدية فِي ضَوْءِ نُصُوصِ الكِتَابِ والسُّنَّة

د. عصام السيد محمود

أكاديمي مصري، أستاذ مساعد بكلية الشريعة وأصول الدين
بجامعة نجران

ملخص البحث

الحمدُ للهِ والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فهذا بحث يتناول الأحكام المتعلقة بدار البرزخ من الناحية الاعتقادية وهي الدار التي يسكنها الإنسان من موته بخروجِ رُوْحِهِ مِنْ جَسَدِهِ إلى نفخةِ الصُّوْرِ الثانية.

ولأن دار البرزخ غيبٌ عنا لم نره، ولم يرجع إلينا أحد ممن عاينه فيخبرنا بما وقع له فيه؛ فقد اقتصر البحث في تأصيل قضاياه على ما ثبت بدليلٍ صحيح من كتاب الله – عز وجل – ومِنْ سُنَّةِ نبيه ﷺ؛ متجافيًا عما اشتملت عليه كثيرٌ من المؤلفات في هذا الباب من روايات مردودة واهية أو رُؤى منامية وإِنْ ثَبَتَ صحةُ نِسبتها إلى أصحابها.

وقد خلص البحث إلى مجموعة من النتائج أهمها:

١) وجوب الإيمان بدار البرزخ وما يكون فيها مما أخبرت به النصوص من الكتاب والسنة، وتبدأ بخروج الروح من الجسد، ويظل في دار البرزخ معذبًا أو منعمًا حتى يأذن الله – عز وجل – بقيام الساعة وخروج الناس من قبورهم للحساب بين يديه بعد نفخة الصور الثانية.

٢) وجوب الإيمان بما أخبرت به النصوص من عذاب القبر ونعيمه، ولا يُتأول ذلك على خلاف ظاهره، وأنه يكون لهذه الأمة ولغيرها من الأمم.

٣) يختلف مستقر الأرواح بعد مفارقة الجسد في الدنيا على مراتب متعددة أعلاها أرواح الأنبياء، ثم الشهداء، ثم المؤمنون، ويدخل معهم أطفال المسلمين وأطفال المشركين.

٤) مستقر أرواح عصاة المؤمنين في النار، وقد يخفف عنهم العذاب، وقد ينتهي بفضل الله وبرحمته، أما مستقر أرواح الكافرين ففي النار، وهم معذبون في قبورهم كما ثبت بالأحاديث الصحيحة.

٥) الأصل في الموتى أنهم لا يسمعون سماعاً مطلقاً لكن الله يسمعهم إن أراد ذلك، كسماع الميت قرع نعال أصحابه، وكسماع المشركين في قليب بدر، ويقتصر في ذلك على ما وردت به الأدلة.

٦) لا يوجد لمن رأى أن الموتى يسمعون مطلقاً دليل صحيح يحتج به على هذه المسألة، فهذا باب لم يصح فيه شيء.

Abstract

All praises are due to Allah. May salat and salam be upon the Messenger of Allah.

To proceed:

This research deals with creedal rulings pertinent to the Barzakh, which is the abode in which each human resides from the time his soul leaves his body at death until the second blowing of the horn.

Due to the fact that life in the Barzakh is from the matters of the unseen, and that no one who has observed it has returned to life and informed us about what happened to him there, this research has made its sole source of affirming issues pertaining to the Barzakh sound proofs from the Book of Allah and the Sunnah of His Prophet r. It has avoided accounts of dreams, even if the dream is authentically attributed to the one who claimed to have it, and weak narrations that are found in many books written on this topic.

The research resulted in several conclusions, the most important being:

1- The obligation of believing in the existence of the Barzakh, as well as anything that the texts of the Quran and Sunnah affirm will take place in it. Life in the Barzakh begins when the soul leaves the body, and one will remain there in a state of punishment or bliss until the Hour is established by Allah's permission. After the second blowing of the horn, people will exit their graves for the reckoning before Allah.

2- The obligation of believing that everyone - this nation as well as previous nations - will face punishment or bliss in the grave, as affirmed by the texts. This is not be interpreted in a way contrary to its apparent meaning.

3- Souls rest in various places after their departure from the body in this worldly life. The highest level of souls is that of prophets, followed by martyrs, then the believers, and included with them are the children of both Muslims and idolaters.

4- The souls of disobedient believers are in the Fire. Their punishment may be lightened, and will eventually come to an end by the Grace and Mercy of Allah. The souls of the disbelievers are also in the Fire, and they are punished in their graves as has been established in several authentic hadith.

5- In general, the deceased do not hear anything. However, Allah allows them to hear what He wills. For example, a dead person hears the footsteps of his companions [as they depart from his burial], and the disbelievers who died in the well at Badr were able to hear. This ability, however, is restricted to what has been supported by textual evidence.

6- There is no authentic evidence supporting the view of those who claim that the dead hear without exception.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ الذي خَلَقَ فَسَوَّى وَقَدَّرَ فَهَدَى، خَلَقَ الموتَ والحياةَ ليبلُوَنَا أَيُّنَا أحسنُ عَملا. وصَلَّى اللهُ على نَبِيِّنَا محمدٍ مَنْ أَرْسَلَهُ ربُّهُ هاديًا وبشيرًا وداعيًا إليه بإذنِه وسِرَاجًا مُنيرًا، وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا مَزِيدًا.

أما بعد...

فقد خلق الله عَزَّوَجَلَّ الإنسان، وحَمَّلَهُ أمانةَ التكليف، وجعل له أطوارًا متعددة، ودورًا لها أحكامٌ متباينة، وجعلَ لَهُ مِنْ هذه الدورِ دارَ تكليفٍ وابتلاء، وأعطاهُ فيها من الحُرِّيَّةِ والاختيارِ ما يتمكَّنُ به مِن الفِعْلِ والتَّرْك؛ ليترتبَ على هذا الاختيارِ الثوابُ والعقاب، فيترتبُ على ما يفعلُهُ الإنسانُ في هذه الدارِ حالتُهُ ومنزلته في الدُّوْرِ التي تتبعها، وفي المراحلِ التي ينتقلُ إليها عندما يرحلُ منها.

وقد جعلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ الدُّوْرَ التي للإنسان ثلاثة: دار الدنيا ودار البَرْزَخ ودار الآخرة، أمَّا **الدارُ الأولى** فهي الدار التي يعيش فيها الإنسان من مولده إلى وفاته، و**دار البرزخ** هي الدار التي يسكنها من موته بخروجِ رُوْحِهِ مِنْ جَسَدِهِ إلى نفخةِ الصُّوْرِ الثانية، و**دار الآخرة** تبدأ بنفخة الصُّوْرِ الثانية إلى دخولِ أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم.

وقد أردتُ في هذا البحث الحديثَ عن الأحكام المتعلقة بدار البرزخ من الناحية الاعتقادية؛ من خروجِ الروح من الجسد وصعودها إلى السماء، ثم نزولها إلى الأرض واتصالها بالجسد لسؤال القبر، ثم انتقالها للجنة أو للنار مع تعلقها بالجسد، يتنعم بنعيمها ويتعذب بعذابها، إلى نفخة الصور الثانية

حيث تتصل الروح بالجسد تمام الاتصال، فيقوم الإنسان للحساب كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

أسباب اختيار الموضوع:

والذي دفعني إلى اختيار هذا الموضوع:

أولا: لأنه يتعلق بركن من أركان الإيمان، فلا يتم الإيمان باليوم الآخِر إلا بالإيمان بالبرزخ وما يحدث فيه.

ثانيًا: أهميته حيث يتعلق بأمرٍ اعتقادي اختلفت فيه الأقوال، بالرغم من أنه غيبيّ لا مجال للرأي فيه، مما يجعلنا في حاجةٍ إلى دراسته انطلاقًا من نصوص الكتاب وما صَحَّ من سنة النبي ﷺ.

ثالثًا: أنَّ كثيرًا من المؤلفات التي تعرضت للحديث عن هذه الدار كـ«الرُّوحِ» لابن القَيِّم، و«التذكرة» للقُرْطُبِيّ، و«أهول القُبور» لابن رَجَب، وكُتُب ابن أبي الدُّنْيَا - على الرغم مما اشتملت عليه من فوائد جمة - قد كَثُرَت فيها الأحاديث الضعيفة، والقَصَص الواهية، والمَنَامَات التي يتعارض بعضُهَا مع الأحاديث الصحيحة مما يُوقِعُ القارئَ في حَيْرَةٍ، ولا يستطيع أن يصلَ إلى تصوُّرٍ صحيح مقبول عن هذه الدار.

رابعًا: ما ارتبط بهذا الموضوع من اعتقادات باطلة كان لها أثرٌ كبير في انتشار البدع في كثير من بلدان المسلمين.

خامسًا: الرغبة في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة في القضايا المتعلقة بدار البرزخ، وبيان تمسكهم بالنصوص الشرعية الصحيحة الموافقة

لصريح المعقول.

خطة البحث:

تقوم خطة البحث على تقسيمه إلى عشرة مباحث:

المبحث الأول: تعريف «البرزخ» وعلاقته بالإيمان باليوم الآخر.

المبحث الثاني: الإيمان بالموت وسكراته.

المبحث الثالث: في إثبات سؤال المَلَكَيْن وأنَّ القبرَ أولُ منازل الآخرة.

المبحث الرابع: الأدلة على ثُبُوت عذاب القَبْر.

المبحث الخامس: الأدلة على ثُبُوت نَعِيم القَبْر.

المبحث السادس: عذاب القبر ونَعيمه على الرُّوْحِ والجَسَدِ.

المبحث السابع: محلّ أرواح الموتَى في البرزخ.

المبحث الثامن: نهاية دار البرزخ.

المبحث التاسع: في سماع الأموات ويشتمل على مطلبين:

الأول: الأدلة على عدم سماع الأموات.

الثاني: الأدلة على سماع الأموات ومناقشة ابن القيم فيما ذكره في كتاب الروح في هذه المسألة.

وفي **الخاتمة** ذكرتُ أهم نتائج البحث.

- وقد اقتصرتُ فيه على ما ثبت في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وما صحَّ مِنْ سُنَّةِ نبيه ﷺ؛ إذ دار البرزخ غيبٌ عنا لم نره، ولم يرجع إلينا أحد ممن عاينه

فيخبرنا بما وقع له فيه؛ ومن ثمَّ فالسبيل الوحيد للتعرف على هذه الدار والحديث عن أحكامها ما ثبت من الوحي الإلهي المعصوم المتمثل في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وما صَحَّ مِنْ سُنَّةِ نبيه ﷺ. ولا عِبْرَةَ بما اشتملت عليه كثيرٌ من المؤلفات في هذا الباب من روايات مردودة واهية أو رُؤى منامية وإِنْ ثَبَتَ صحةُ نِسبتها إلى أصحابها.

أسألُ الله عَزَّوَجَلَّ أن يجنبني فيه الزللَ، وأن ينفع به كاتبه وقارئه، ورَحِمَ اللهُ رجلا وجد فيه خللا فأصلحه ونصح فيه كاتبه، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المبحث الأول

تعريف «البَرْزَخ» وعَلاقته بالإيمان باليوم الآخِر

المطلب الأول: تعريف البرزخ

«**البَرْزَخُ**» لغة: الحاجزُ بين الشيئين، والجَمْعُ: البَرازخ.

قَالَ الْفَرَّاءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٠]: «البَرْزَخُ مِنْ يَوْمِ يَمُوتُ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُ»[(١)].

قال الجَوْهَرِيّ: «البَرْزَخُ: ما بين الدنيا والآخرة، من وقت الموت إلى البعث، فمَن مات فقد دخل البَرْزَخَ. وَيُقَال: (فلَان فِي البَرْزَخ) إِذا مَاتَ كَأَنَّهُ بَين الدُّنْيَا وَالْآخِرَة».

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: ٢٠] يَعْنِي: حَاجِزًا مِنْ قُدْرَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ وَقِيلَ: أَي حَاجِزٌ خَفِيٌّ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ [الفرقان: ٥٣] أَي: حَاجِزًا. وَ«الْبَرْزَخُ» وَ«الْحَاجِزُ» و«المُهْلَة» مُتَقَارِبَاتٌ فِي الْمَعْنَى[(٢)].

أما تعريف «**دار البرزخ**» في الشرع: فهي الدار التي ينتقل إليها الناسُ بعد خروجهم من هذه الدنيا بمفارقة أرواحهم لأجسادهم إلى أن يجمعهم الله يوم القيامة فيجازِي كُلَّ عاملٍ جزاءَ عمله مفصلا، هذا مع إنهم في دار البرزخ بأعمالهم مُدانون مكافأون؛ فمكرمون بإحسانهم، وبإساءتهم مهانون، قال

---

(١) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٤٢).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٧/ ٢٧٠)، لسان العرب (٣/ ٨)، تاج العروس (٧/ ٢٣٤).

الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٠٠﴾ [المؤمنون: ١٠٠][1].

وسُمِّيَت دار البرزخ بهذا الاسم لأنها تحجز بين الميت وبين الرجوع إلى الدنيا، أو تحجزُ بين الدنيا والآخرة فهي مرحلة بينهما[2].

قال السعدي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ أي: من أمامهم وبين أيديهم برزخ، وهو الحاجز بين الشيئين، فهو هنا: الحاجز بين الدنيا والآخرة، وفي هذا البرزخ، يتنعم المطيعون، ويعذب العاصون، من موتهم إلى يوم يبعثون، أي: فليعدوا له عدته، وليأخذوا له أهبته[3].

---

(١) انظر: أهوال القبور لابن رجب (ص ١٥، ١٦).

(٢) أهوال القبور لابن رجب (ص ١٦).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن السعدي (١/ ٥٥٩).

المطلب الثاني: علاقة الإيمان بالبرزخ بالإيمان باليوم الآخر

الإيمان باليوم الآخر أحد أركان الإيمان الذي لا يصح الإيمان إلا به. كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]، وقال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

فالحصولُ على البرّ لا يتحقق إلا بتحقيق أركان الإيمان ومنها الإيمان باليوم الآخر، وسمي «**اليوم الآخِر**» بهذا الاسم لتأخره عن الدنيا.

ويدخل في الإيمان به الإيمان بما يكون في البرزخ؛ فيدخل في الإيمان به الإيمان بالموت، وبما أخبر النبي ﷺ مما يكون بعده من فتنة القبر ونعيمه أو عذابه، هذا الذي يكون في دار البرزخ، ويكون أمارة على ما يكون عليه حال الإنسان في الدار الآخرة، فمَنْ مات وانتقل إلى دار البرزخ قامت قيامته الصغرى، وحوسب على عمله إلى أن تقوم القيامة الكبرى فيحاسب حسابًا مفصلا ويُجَازَى جزاء تامًّا، فلا يمكن أن يتم إيمان العبد باليوم الآخر دون أن يؤمن بأول منازل الآخرة، وهو ما يكون في القبر من حساب وما يترتب عليه من نعيم أو عذاب.

وكثيرًا ما يقرن القرآن الكريم بين الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ وبين الإيمان باليوم الآخر وما يدخل فيه من الإيمان بالبرزخ في مواضع متعددة في كتابه لما له من عظيم الأثر في صلاح القلوب والأعمال وصلاح أمر الدنيا والآخرة؛ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ

مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ﴾ [البقرة: ٢٣٢]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢١].

والسببُ في ذلك أنَّ الإنسان كلما ازداد إيمانًا بالله ويقينًا باليوم الآخر استعد له بما يحبه الله عَزَّوَجَلَّ من الأقوال والأفعال، فحرص على الأعمال الصالحة التي تقرّبه من ربه، وتنجيه من خزي هذا اليوم، وابتعد عن الذنوب والمعاصي التي تؤدي به إلى الهلاك في الدنيا والخسران في الآخرة.

المبحث الثاني

الإيمان بالموت وسكراته

الموت حقٌّ، قَضَاهُ الله على كل مخلوق في السماوات والأرض من الإنس والجن والملائكة وغيرهم من المخلوقات، وجعل لكلٍ أجلا محتومًا، وحدًّا مرسومًا، لا يتقدمه ولا يتأخر عنه. واستأثر تبارك وتعالى بعلمه عن جميع خلقه قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وقال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزمر: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنبياء: ٣٤]، وقال الله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ [السجدة: ١١].

وأخبر سبحانه بفناء كل مخلوق فقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، وقال سبحانه: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦ - ٢٧]، وغير ذلك من الآيات والأحاديث، وهو أمر مشاهدٌ لا يجهله أحد.

وما يعلم متى ينتهي الأجل ولا أين ينتهي إلا عالم الغيب والشهادة سبحانه وتعالى كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًاۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان: ٣٤].

فإذا جاء الوقت المعلوم وانقضى الأجل المحتوم الذي لا يتقدم لحظة ولا يتأخر مثلها كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةًۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤] نزلت ملائكة من السماء معهم كَفَن من أكفان

الجنة وحَنُوط من حنوطها، أو مسوح من مسوح النار على حسب حال العبد وما كان يعمله في الدنيا، ثم يجيء ملك الموت فينزع روحه؛ فإن كان مؤمنًا أخذها برعاية وصيانة ولِيْن ورِفْق حتى يضعها في كفن الجنة وحنوطها، فيخرج منها كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، وإن كان كافرا انتزعها بشدة ومهانة فيضعها في المسوح وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، فإذا خرجت الروح من الجسد صعد بها الملائكة إلى السماء، أما المؤمن فتفتح له أبواب السماء وأما الكافر فتغلق دونه.

وقد جاء ما يحدُث للعبد عند موته مفصلا من حديث الْبَرَاءِ بن عَازِبٍ قَالَ:

«خَرَجْنَا مَعَ النبي ﷺ فِى جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ وَفِى يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ فِى الأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» - مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا -، ثُمَّ قَالَ:

«إِنَّ الْعبد الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِى انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مَلاَئِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِىءُ مَلَكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ. قَالَ: فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِيِّ السِّقَاءِ فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِى يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِى ذَلِكَ الْكَفَنِ وَفِى ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ. قَالَ: فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلاَ يَمُرُّونَ

- يَعْنِي: بِهَا - عَلَى مَلأٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِلاَّ قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ! فَيَقُولُونَ: فُلاَنُ ابْنُ فُلاَنٍ - بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا - ، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ وَأَعِيدُوهُ إِلَى الأَرْضِ فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى.

قَالَ: فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولاَنَ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ. فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الإِسْلاَمُ. فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ. فَيَقُولاَنِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ، فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ. فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ أَنْ: صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ. قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ. قَالَ: وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ. فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ. فَيَقُولُ رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي.

قَالَ: وَإِنَّ الْعبد الكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ مَعَهُمُ الْمُسُوحُ فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللهِ وَغَضَبٍ، قَالَ: فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ

طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِى تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلاَ يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلأٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ إِلاَّ قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلاَنُ ابْنُ فُلاَنٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِى كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِى الدُّنْيَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ فَلاَ يُفْتَحُ لَهُ». ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]، « فَيَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِى سِجِّينٍ، فِي الأَرْضِ السُّفْلَى، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]، « فَتُعَادُ رُوحُهُ فِى جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لاَ أَدْرِي. فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لاَ أَدْرِي. فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لاَ أَدْرِي. فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ، فَافْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ. فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلاَعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنْتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِى كُنْتَ تُوعَدُ. فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ! فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ. فَيَقُولُ: رَبِّ لاَ تُقِمِ السَّاعَةَ»(١).

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٣٠/ ٤٩٩) (ح ١٨٥٣٤)، وأبو داود، باب المسألة في القبر وعذاب القبر (ص ٨٦٠) (٤٧٥٣)، والحاكم في المستدرك، كتاب الإيمان (١/ ٩٣، ٩٥). قال الحاكم عقبه (١/ ٩٦): «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ... وفي هذا الحديث فوائد كثيرة لأهل السنة وقمع للمبتدعة، ولم يخرجاه بطوله، وله شواهد على شرطهما يستدل بها على صحته». وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب =

وثبت في السُّنَّةِ أنَّ الرُّوْحَ إذا قُبِضَ تَبِعَهُ البَصَرُ، وحضرت ذلك الملائكة تُؤَمِّنُ على ما يُقَالُ عند الميت كما أخرج مسلم من حديث أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَتْ:

« دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَلَمَةَ وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ، فَأَغْمَضَهُ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ». فَضَجَّ نَاسٌ مِنْ أَهْلِهِ، فَقَالَ: «لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ». ثُمَّ قَالَ: «اللهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ»[1].

قال القرطبي في «التَّذْكِرَة»: «قال علماؤنا: قوله ﷺ: «إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيرًا» أمر ندب وتعليم بما يُقَالُ عند الميت والمريض، وإخبار بتأمين الملائكة على دعاء من هناك؛ ولهذا استحب العلماء أن يحضر الميتَ الصالحون وأهل الخير حال موته ليذكّروه، ويدعوا له ولمن يخلفه ويقولوا خيرًا، فيجتمع دعاؤهم وتأمين الملائكة فينتفع الميت ومَنْ يُصاب به ومَن يخلفه»[2].

ومما ثبت في السُّنَّةِ أيضا أَنَّ العبدَ يبشرُ عندَ موته برضوان الله وكرامته أو بعذاب الله وعقوبته؛ ففي الصحيحَيْن من حديث عُبَادَةَ بن الصَّامِتِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ

=

(٣/ ٣٩٧) (٣٥٥٨) وغيره.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما يُقال عند المريض والميت وإغماض الميت (٦/ ٢٢٢، ٢٢٣).

(٢) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي ص١٨٣.

لِقَاءَهُ». قَالَتْ عَائِشَةُ -أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ-: إِنَّا لَنَكْرَهُ المَوْتَ! قَالَ: «لَيْسَ ذَاك، وَلَكِنَّ المُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ المَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللهِ وَكَرَامَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ وَأَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللهِ وَعُقُوبَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ وَكَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ»[1].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، بَاب: مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ (٨/ ١٠٦)، وأخرجه مسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، بَاب مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ (١٧/ ٩).

المبحث الثالث

في إثبات سؤال المَلَكَيْن وأنَّ القبر أول منازل الآخرة

إذا ماتَ ابنُ آدمَ وخرجت روحُهُ مِن جسدِهِ ووضعَ فِي قبرِهِ فإنَّه عندئذٍ يكونُ في أولِ منزلٍ مِن منازلِ الآخرة[١].

---

(١) من الخطأ البيِّن ما يقع فيه بعض المسلمين عندما يموت إنسان ويدفن يقال: ذهب إلى مثواه الأخير، فهذا خطأ لفظي، فليس القبر هو المثوى الأخير، وإنما يكون المثوى الأخير يوم القيامة إما في الجنة وإما في النار، أما القبر فهو برزخ بين الدنيا والآخرة، أول منازل الآخرة وليس آخرها. قال الشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معجم المناهي اللفظية ص(٤٩٢)في التعليق على قول مثواه الأخير: «انتشرت هذه العبارة في زماننا على ألسنة المذيعين وبأقلام الصحفيين، وهي من جهالاتهم الكثيرة، المبنية على ضعف رعاية سلامة الاعتقاد . يقولونها حينما يموت شخص، ثم يدفن، فيقولون: « ثم دفن في مثواه الأخير » ونحوها ومعلوم أن « القبر » مرحلة بين الدنيا والآخرة، فبعده البعث ثم الحشر، ثم العرض في يوم القيامة ثم إلى جنة أو نار: ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾[الشورى: ٧] ولذا فلو أطلقها إنسان معتقداً ما ترمي إليه من المعنى الإلحادي الكفري المذكور؛ لكان كافراً مرتداً فيجب إنكار إطلاقها، وعدم استعمالها».

وسئل فضيلة الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما حكم قوله «دفن في مثواه الأخير»؟ .فأجاب قائلا: «قول القائل (دفن في مثواه الأخير) حرام ولا يجوز لأنك إذا قلت في مثواه الأخير فمقتضاه أن القبر آخر شيء له، وهذا يتضمن إنكار البعث ومن المعلوم لعامة المسلمين أن القبر ليس آخر شيء، إلا عند الذين لا يؤمنون باليوم الآخر، فالقبر آخر شيء عندهم، أما المسلم فليس آخر شيء عنده القبر قد سمع أعرابي رجلا يقرأ قوله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾[التكاثر: ١ - ٢] وقال: «والله ما الزائر بمقيم» لأن الذي يزور يمشي فلابد من بعث وهذا صحيح: لهذا يجب تجنب هذه العبارة ولا يقال عن القبر أنه المثوى =

أَخرجَ الترمذيُّ وابنُ ماجةَ والحاكمُ عَنْ هَانِئٍ مَوْلَى عُثْمَانَ، قَالَ:

«كانَ عُثْمَانُ إِذَا وَقَفَ عَلَى الْقَبْرِ بَكَى حَتَّى تُبَلَّ لِحْيَتُهُ، فَقِيلَ لَهُ، تَذْكُرُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ فَلا تَبْكِي، وَتَبْكِي مِنْ هَذَا؟ فَقَالَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ، فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ، فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ».

قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلا وَالْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ»(١).

فإذا وُضِعَ الإنسانُ في قبره تُرَدُّ إليه روحُه، فيأتيه ملكان يقال لأحدهما المُنْكَر وللآخر النَّكِيْر، يسألانه عن عقيدته، عما كان يؤمن به في الدنيا ويعمل له، عن ربه وعن دينه وعن نبيِّه، فإن أجابهم بخيرٍ نجا من فتنتهم، وإن لم يجبهم فإنهم يضربونه ضربًا شديدًا مؤلما.

أخرج الترمذيّ في «سننه» وابن أبي عاصم في «السُّنَّة» عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ - أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ - أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ يُقَالُ لأَحَدِهِمَا الْمُنْكَرُ وَالآخَرُ النَّكِيرُ، فَيَقُولاَنِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِى هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عبد اللهِ وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

=

الأخير، لأن المثوى الأخير إما الجنة وإما النار يوم القيامة». المناهي اللفظية ص ٥٦.

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ (ص ٥٢٢) (رقم ٢٣٠٨)، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر القبر والبلى (ص ٤٦٠) (رقم ٤٢٦٧) وحسنه الألباني، كما أخرجه الحاكم في مستدركه (١/ ٣٧١).

فَيَقُولاَنِ قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا.

ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِى قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِى سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: نَمْ.

فَيَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَى أَهْلي فَأُخْبِرُهُمْ.

فَيَقُولاَنِ: نَمْ كَنَوْمَةِ الْعَرُوسِ الَّذِى لاَ يُوقِظُهُ إِلاَّ أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ. حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ.

وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ فَقُلْتُ مِثْلَهُ، لاَ أَدْرِى.فَيَقُولاَنِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ. فَيُقَالُ لِلأَرْضِ: الْتَئِمِي عَلَيْهِ. فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ. فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلاَعُهُ، فَلاَ يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ»[(١)].

وأخرج البخاري في «صحيحه» عَنِ الْبَرَاءِ بن عَازِبٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:

«الْمُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ فِى الْقَبْرِ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ ﴾[إبراهيم: ٢٧]»[(٢)].

وأخرج البخاريُ في «صحيحه» عَنْ أَنَسِ بن مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ أَنَّ

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (ح ١٠٧١) (ص ٢٥٣) كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، وابن أبي عاصم في السنة بتحقيق الألباني (ح٨٦٤) (١/ ٤١٦، ٤١٧)، وقال الألباني عقبه: «إسناده حسن».

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾ (٦/ ٨٠) (ح ٤٦٩٩).

رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:

«إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِى قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ فَيَقُولاَنِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِى الرَّجُلِ - لِمُحَمَّدٍ ﷺ -؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عبد اللهِ وَرَسُولُهُ. فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا ».

قَالَ قَتَادَةُ: وَذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ يُفْسَحُ فِى قَبْرِهِ. ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ أَنَسٍ قَالَ:

«وَأَمَّا الْمُنَافِقُ وَالْكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِى هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِى، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ.

فَيُقَالُ: لاَ دَرَيْتَ، وَلاَ تَلَيْتَ. وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ»[1].

فَدَلَت هذه الأحاديثُ عَلى أنَّ سؤالَ القَبرِ عامٌ للمُؤمنِ والفَاسِقِ والكافرِ والمنافقِ، وأنه عامٌ لجميعِ الأممِ، وليس خاصًا بِهَذِهِ الأمُةِ. فإن كانَ مِن أهلِ الصَّلاحِ والاستقامةِ جاءَهُ ملائكةٌ بيضُ الوجوه، وإن كان من أهل الفساد والشقاوة أتاه ملائكة سود الوجوه، وهذه فتنة القبر، أي سؤاله وامتحانه الذي أمرنا النبي ﷺ بالاستعاذة منها.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، (٢/ ٩٨) (ح ١٣٧٤).

المبحث الرابع
الأدلة على ثبوت عذاب القبر

أوحى اللهُ سبحانَه وتعالى إلى رسوله وَحْيًا، وأوجب على عباده الإيمانَ به والعملَ بما فيه. وقد دلَّت آياتُ القرآنِ الكريمِ على ما صرحت به أحاديث السنة النبوية من ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان أهلا لذلك، ولا يُتكلمُ في كيفيتِهِ إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته، لكونه لا عهد له به في هذه الدار، وللآخرة أحكام تخصها لا تُقاسُ بأحكام الدنيا.

قال القرطبي في التذكرة: «الإيمان بعذاب القبر وفتنته واجبٌ، والتصديق به لازم حسب ما أخبر به الصادق، وأن الله تعالى يُحيي العبد المكلف في قبره برَدِّ الحياة إليه، ويجعل له من العقل في مثل الوصف الذي عاش عليه؛ ليعقل ما يُسأل عنه، وما يُجيب به، و يفهم ما أتاه من ربه، وما أُعدّ له في قبره من كرامة أو هوان، وبهذا نطقت الأخبار عن النبي المختار - صلى الله عليه وعلى آله آناء الليل وأطراف النهار -، وهذا مذهب أهل السنة والذي عليه الجماعة من أهل الملة، ولم تفهم الصحابة الذين نزل القرآن بلسانهم ولغتهم من نبيهم -عليه السلام- غير ما ذكرنا، وكذلك التابعون بعدهم إلى هَلُمَّ جَرًّا»(١).

قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية: «وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلا، وسؤال

(١) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي (ص٣٦٩).

الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك، والإيمان به، ولا نتكلم في كيفيته؛ إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته، لكونه لا عهد له به في هذه الدار، والشرع لا يأتي بما يحيله المعقول، ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول، فإن عود الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا، بل تعاد الروح إليه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا»[1].

الأدلة من القرآن على ثبوت عذاب القبر:

١- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ الحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣]

فهذا خطاب لهم عند الموت، وقد أَخبرت الملائكةُ أنهم حينئذ يُجْزَوْنَ عذاب الهُوْنِ، ولو كان هذا العذاب في الآخرة بعد انقضاء الدنيا لَمَا صَحَّ أَنْ يُقَالَ لهم ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ﴾، فدل على أنَّه عذابٌ يكون في البرزخ بعد الموت، وهو عذاب القبر.

٢- ومِنهَا قَولُهُ تَعَالَى عَن مُؤمِنِ آلِ فِرعَونَ: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥ - ٤٦] فأثبتَ لآلِ فرعونَ العَرْضَ على النَّارِ بالغُدُوِّ والعشيّ قبلَ يومِ القيامةِ، وَهُوَ عَذَابُ القَبرِ.

قال القرطبي: «الجمهور على أن هذا العرض في البرزخ، احتج بعض أهل العلم في تثبيت عذاب القبر بقوله: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٢/ ٦٠٩).

وَعَشِيًّا ﴾»[١].

وقال الحافظ ابن كثير: «وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور»[٢].

٣- وقالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَن قَومِ نُوحٍ: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا ﴾ [نوح: ٢٥].

فأثبت لهم دخولا للنَّارِ بعدَ الغَرَقِ مباشرةً، فدلَ ذلكَ على أنَّ هناكَ عذاب يكونُ بعدَ الموتِ قبلَ يومِ القيامةِ، وهو عذابُ القبرِ.

ودلت الآيتان الأخيرتان على ما ثبت بالسنة من أن عذاب القبر ليس خاصًّا بهذه الأمة وإنما هو شامل لجميع الأمم، وهو ما ثبت بالسنة ففي الصحيحين من حديث أَبِي أَيُّوبَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ:

خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَدْ وَجَبَتِ الشَّمْسُ، فَسَمِعَ صَوْتًا فَقَالَ: «يَهُودُ تُعَذَّبُ فِي قُبُورِهَا»[٣].

٤- قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ فَأَلۡقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءِۭۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٨ فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٢٩ ﴾ [النحل: ٢٨ - ٢٩]

---

(١) تفسير القرطبي (١٥/ ٣١٣، ٣١٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ١٤٦).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الصلاة باب التعوّذ من عذاب القبر (٢/ ٩٩) (ح ١٣٧٥)، وأخرجه مسلم كتاب صِفَة القيامة والجَنَّة والنَّار، بَابُ عَرْضِ مَقْعَدِ الْمَيِّتِ مِنَ الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ عَلَيْهِ، وَإِثْبَاتِ عَذَابِ الْقَبْرِ وَالتَّعَوُّذِ مِنْهُ)١٧/ ٢٠٠).

قال ابن كثير: «وهم يدخلون جهنم من يوم مماتهم بأرواحهم ويأتي أجسادَهم في قبورها من حرها وسَمومها، فإذا كان يوم القيامة سُلِكَتْ أرواحُهُم في أجسادهم وخُلِّدَت في نار جهنم»[(١)].

الأدلةُ من السُّنَّة:

فقد تواترت الأحاديثُ عَنِ النبي ﷺ في التصريحِ بإثباتِ عذابِ القبرِ، واستعاذتِهِ مِنهُ، وأمرِ أمتِهِ بذلك، ومن هذه الأحاديث:

١- ما أخرج البخاري في صحيحه عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النبي ﷺ أَخْبَرَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو فِى الصَّلاَةِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ»[(٢)].

٢- وأخرج مسلم وأحمد عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ هَذَا الدُّعَاءَ كَمَا يُعَلِّمُهُمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ أَنْ يَقُولَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ»[(٣)].

فاستعاذته ﷺ من عذابِ القبرِ دليلٌ على وجودِهِ، وَأَنَّ بَعضَ المسلمينَ

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٦٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الدُّعَاءِ قَبْلَ السَّلاَمِ (١/ ١٦٦) (ح٨٣٢)، ومسلم كتاب الصلاة، باب التعوذ من عذاب القبر وعذاب جهنم (٥/ ٨٧).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، (٤/ ١٧٨) (ح ٢٣٤٢)، مسلم في صحيحه كتاب الصلاة، باب التعوُّذ من عذاب القبر وعذاب جهنم (٥/ ٨٨- ٨٩).

يتعرضُ له في قبره.

٣- وأخرج البخاري في صحيحه عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ يَهُودِيَّةً دَخَلَتْ عَلَيْهَا فَذَكَرَتْ عَذَابَ الْقَبْرِ، فَقَالَتْ لَهَا: أَعَاذَكِ اللهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ. فَسَأَلَتْ عَائِشَةُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ عَذَابِ الْقَبْرِ فَقَالَ: «نَعَمْ، عَذَابُ الْقَبْرِ». قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعْدُ صَلَّى صَلاَةً إِلاَّ تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»(١).

٤- أخرج البخاري في صحيحه قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

مَرَّ النبي ﷺعَلَى قَبْرَيْنِ فَقَالَ: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ مِنْ كَبِيرٍ»، ثُمَّ قَالَ: «بَلَى، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَسْعَى بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لاَ يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ». قَالَ: ثُمَّ أَخَذَ عُودًا رَطْبًا فَكَسَرَهُ بِاثْنَتَيْنِ، ثُمَّ غَرَزَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى قَبْرٍ، ثُمَّ قَالَ: «لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا»(٢).

فدلَ هذا الحديثُ أنَّ بعضَ المسلمينَ قد يُعاقبُ بعذابِ القبرِ، فقد جعلَ النَبيُّ ﷺ عذابهما بسببِ ارتكابهما كبيرتين من الكبائر، أمَّا أحدهما فكان لا يستتر من بوله، أي: لا يجعل بينه وبين بوله سُترة ولا يتحفظ منه، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة بين الناس، ولو كانا غير مسلمَيْن لذكر النبي ﷺ ذلك ولَماَ كان لتخصيص هذه المعاصي بالذكر معنى إذ معهم الكفر الذي هو أعظم الذنوب، فضلا عن ذلك فإن النبي ﷺ قد شَفَعَ لهما في تخفيف العذاب بعض الوقت، ومن المعلوم أنَّ الشفاعةَ لا تُقْبَلُ فيمن مات كافرا، وقد نهى

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب مَا جَاءَ فِى عَذَابِ الْقَبْرِ (٢/ ٩٨) (ح ١٣٧٢).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب عذاب القبر من الغيبة والبول (٢/ ٩٩) (ح ١٣٧٨).

النبي ﷺ عن الاستغفار لمن مات كافرا، ولم تُقْبَلْ شفاعته ﷺ في أُمِّهِ.

٥- أخرج البخاري في صحيحه عَنِ الْبَرَاءِ بن عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النبي ﷺ قَالَ:

«إِذَا أُقْعِدَ الْمُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ أُتِيَ، ثُمَّ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧] ». وَزَادَ في رواية: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ[(١)].

٦- أخرج البخاري في صحيحه عَنْ سَمُرَةَ بن جُنْدُبٍ قَالَ:

كَانَ النبي ﷺ إِذَا صَلَّى صَلاَةً أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمُ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا»؟ قَالَ: فَإِنْ رَأَى أَحَدٌ قَصَّهَا، فَيَقُولُ مَا شَاءَ اللهُ، فَسَأَلَنَا يَوْمًا، فَقَالَ: « هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا»؟

قُلْنَا: لاَ.

قَالَ: « لَكِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي فَأَخَذَا بِيَدِي، فَأَخْرَجَانِي إِلَى الأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ بِيَدِهِ كَلُّوبٌ مِنْ حَدِيدٍ يُدْخِلُ ذَلِكَ الْكَلُّوبَ فِي شِدْقِهِ حَتَّى يَبْلُغَ قَفَاهُ، ثُمَّ يَفْعَلُ بِشِدْقِهِ الآخَرِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَيَلْتَئِمُ شِدْقُهُ هَذَا، فَيَعُودُ فَيَصْنَعُ مِثْلَهُ.

قُلْتُ: مَا هَذَا!

قَالاَ: انْطَلِقْ.

فَانْطَلَقْنَا، حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ عَلَى قَفَاهُ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب مَا جَاءَ فِى عَذَابِ الْقَبْرِ (٢/ ٩٨) (ح١٣٦٩).

رَأْسِهِ بِفِهْرٍ أَوْ صَخْرَةٍ، فَيَشْدَخُ بِهِ رَأْسَهُ، فَإِذَا ضَرَبَهُ تَدَهْدَهَ الْحَجَرُ، فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ لِيَأْخُذَهُ، فَلاَ يَرْجِعُ إِلَى هَذَا حَتَّى يَلْتَئِمَ رَأْسُهُ، وَعَادَ رَأْسُهُ كَمَا هُوَ، فَعَادَ إِلَيْهِ فَضَرَبَهُ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟

قَالاَ: انْطَلِقْ.

فَانْطَلَقْنَا إِلَى ثَقْبٍ مِثْلِ التَّنُّورِ، أَعْلاَهُ ضَيِّقٌ وَأَسْفَلُهُ وَاسِعٌ، يَتَوَقَّدُ تَحْتَهُ نَارًا، فَإِذَا اقْتَرَبَ ارْتَفَعُوا حَتَّى كَادَ أَنْ يَخْرُجُوا، فَإِذَا خَمَدَتْ رَجَعُوا فِيهَا، وَفِيهَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ.

فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا!

قَالاَ: انْطَلِقْ.

فَانْطَلَقْنَا: حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ مِنْ دَم، فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى وَسَطِ النَّهَرِ ورَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ حِجَارَةٌ، فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الَّذِي فِى النَّهَرِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ فِي فِيهِ، فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ، فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَى فِي فِيهِ بِحَجَرٍ، فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ.

فَقُلْتُ: مَا هَذَا!

قَالاَ: انْطَلِقْ.

فَانْطَلَقْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ، فِيهَا شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ، وَفِي أَصْلِهَا شَيْخٌ وَصِبْيَانٌ، وَإِذَا رَجُلٌ قَرِيبٌ مِنَ الشَّجَرَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ نَارٌ يُوقِدُهَا، فَصَعِدَا بِي فِي الشَّجَرَةِ، وَأَدْخَلاَنِي دَارًا لَمْ أَرَ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهَا، فِيهَا رِجَالٌ شُيُوخٌ وَشَبَابٌ، وَنِسَاءٌ وَصِبْيَانٌ، ثُمَّ أَخْرَجَانِي مِنْهَا، فَصَعِدَا بِي الشَّجَرَةَ، فَأَدْخَلاَنِي دَارًا هِيَ أَحْسَنُ وَأَفْضَلُ، فِيهَا شُيُوخٌ وَشَبَابٌ.

قُلْتُ: طَوَّفْتُمَانِي اللَّيْلَةَ، فَأَخْبِرَانِي عَمَّا رَأَيْتُ.

قَالاَ: نَعَمْ، أَمَّا الَّذِى رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ فَكَذَّابٌ يُحَدِّثُ بِالْكَذْبَةِ، فَتُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الآفَاقَ، فَيُصْنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ

وَالَّذِي رَأَيْتَهُ يُشْدَخُ رَأْسُهُ فَرَجُلٌ عَلَّمَهُ اللهُ الْقُرْآنَ، فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ، وَلَمْ يَعْمَلْ فِيهِ بِالنَّهَارِ، يُفْعَلُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَالَّذِي رَأَيْتَهُ فِي الثَّقْبِ فَهُمُ الزُّنَاةُ.

وَالَّذِي رَأَيْتَهُ فِي النَّهَرِ آكِلُو الرِّبَا.

وَالشَّيْخُ فِي أَصْلِ الشَّجَرَةِ إِبْرَاهِيمُ - عَلَيْهِ السَّلاَمُ -، وَالصِّبْيَانُ حَوْلَهُ فَأَوْلاَدُ النَّاسِ.

وَالَّذِى يُوقِدُ النَّارَ مَالِكٌ خَازِنُ النَّارِ.

وَالدَّارُ الأُولَى الَّتِي دَخَلْتَ دَارُ عَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَمَّا هَذِهِ الدَّارُ فَدَارُ الشُّهَدَاءِ، وَأَنَا جِبْرِيلُ، وَهَذَا مِيكَائِيلُ، فَارْفَعْ رَأْسَكَ.

فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا فَوْقِي مِثْلُ السَّحَابِ، قَالاَ: ذَاكَ مَنْزِلُكَ.

قُلْتُ: دَعَانِي أَدْخُلْ مَنْزِلِي.

قَالاَ: إِنَّهُ بَقِيَ لَكَ عُمُرٌ لَمْ تَسْتَكْمِلْهُ، فَلَوِ اسْتَكْمَلْتَ أَتَيْتَ مَنْزِلَكَ»[1].

فقد ذكر النبي ﷺ في هذا الحديث النبوي الشريف صورا من عذاب القبر تتنوع حسب ذنوب أصحابها، وهي من جنس أفعالهم - أعاذنا الله من ذلك -.

ولا يعترض على ذلك بأنها رؤيا منام؛ فقد قصها النبي ﷺ على

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز (٢/ ١٠٠) (ح ١٣٨٦).

أصحابه دون أن يعبرها لهم تعبيرا يخالف ظاهرها، ولو كانت على خلاف ظاهرها لذكر لهم النبي ﷺ ذلك.

هذا الحديث يدل على إثبات عذاب القبر، كما يدل على أن بعض المسلمين يعذبون به؛ لأنه ذكر في الرجل الذي يُشدخ رأسه أنه «عَلَّمَهُ اللهُ الْقُرْآنَ، فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ، وَلَمْ يَعْمَلْ فِيهِ بِالنَّهَارِ»، فهذا دليل على أنه مسلم، كما يدل الحديث على تنوع وتفاوت عذاب القير.

مسألة: في الرد على مَنْ أنكر عذاب القبر

تَعَرَّضَ بعضُ المتكلمين قديمًا[١] وحديثًا لإنكار عذاب القبر ونعيمه، متعللين بأنهم لا يَرَوْنَ شيئا من ذلك الذي أخبرت به النصوصُ مما يكون في القبر، ولا سبيل للعلم به على الحقيقة ومشاهدته، وعَمُوا - أو تَعَامَوا - أن الإنسان إذا فارقت رُوحُهُ جسدَه خرج من هذه الدار الدنيا إلى دار أخرى لها أحكامها التي تختلف عن أحكام الدنيا، ولا يمكن أن تُقَاسَ عليها، وليس

(١) المنسوب إلى المعتزلة والمشهور عنهم أنهم ينكرون عذاب القبر، لكن القاضي عبد الجبار - وهو من أئمة المعتزلة - أنكر نسبة ذلك إليهم فقال: إن الأمة مُجمعة على الاعتراف به، وبيَّنَ القاضي ذلك بقوله: «إنه لا خلاف فيه بين الأمة إلا شيء يحكى عن ضرار بن عمرو - وكان من أصحاب المعتزلة ثم التحق بالمجبرة - ولهذا ترى ابن الراوندي يشنّع علينا ويقول: إن المعتزلة ينكرون عذاب القبر، ولا يقرُّون به». وذكر ابن المرتضى عن أبي علي أنه سُئل عن عذاب القبر فقال: سألتُ الشحام فقال: ما منا أحد أنكره، وإنما يُحكى ذلك عن ضرار. انظر: عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة (ص٧٣٠)، المختصر في أصول الدين (ضمن رسائل العدل والتوحيد) ت د. محمد عمارة، ضمن مجموعة رسائل (١/ ٢٧٧)، ابن المرتضى: طبقات المعتزلة (ص٧٢).

هذا بمستبعد في قدرة الله عَزَّوَجَلَّ أن يكون، ولا سبيل إلى معرفته إلا بالخبر الصادق وهو الوحي الإلهي المعصوم، ولو سُلِّطَ هذا الاعتراض على النصوص لأبطلها.

فضلا عن ذلك فإنَّ الإنسان يموت بين أظهرنا وتفارق رُوْحُهُ جسدَهُ فيصبح جثةً هامدةً لا حِرَاكَ فيها وسَمْعُهُ وبصره وأعضاؤه كما هي لم تتغير، ولم يشاهد أحدٌ ممن يحضره خروجَ شيء منه، وعلى الرغم من ذلك يقرّ الجميع أنه قد مات، فمن أنكر عذاب القبر بدعوى عدم مشاهدته فلينكر مفارقة الروح للجسد وما يترتب عليها من أحكام.

وقد تعرض القرطبي في «التذكرة» وغيره من العلماء لعرض شبهة هؤلاء والرد عليها، وقد أجاد ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «الرُّوْح» في عرض شبهتهم، ثم رَدَّ عليها ردًّا مفصلا فقال ما ملخصه:

«قَالُوا: فإنا نكشف الْقَبْر فَلَا نجد فِيهِ مَلَائِكَة عُميا صمًّا يضْربُونَ الْمَوْتَى بمطارق من حَدِيد، وَلَا نجد هُنَاكَ حيات، وَلَا ثعابين، وَلَا نيرانا تأجج، وَلَو كشفنا حَالَةً من الْأَحْوَال لوجدناه لم يتَغَيَّر، وَلَو وَضعنَا على عَيْنَيْهِ الزئبق وعَلى صَدره الْخَرْدَل لوجدناه على حَاله. وَكَيف يفسح مد بَصَره أَو يضيّق عَلَيْهِ وَنحن نجده بِحَالِهِ، ونجد مساحته على حد مَا حفرناها لم يزدْ وَلم ينقص، وَكَيف يسع ذَلِك اللَّحْد الضّيّق لَهُ وللملائكة وللصورة الَّتِي تؤنسه أَو توحشه.

قَالَ إخْوَانهمْ من أهل الْبدع والضلال: وكل حَدِيث يُخَالف مُقْتَضى الْعُقُول والحسّ يقطع بتخطئة قَائِله.

قَالُوا: وَنحن نرى المصلوب على خَشَبَة مُدَّة طَوِيلَة لَا يُسْأَل، وَلَا يُجيب،

وَلَا يَتَحَرَّك، وَلَا يتوقد جِسْمه نَارا، وَمن افترسته السبَاع ونهشته الطُّيُور وَتَفَرَّقَتْ أجزاؤه فِي أَجْوَاف السبَاع وحواصل الطُّيُور وبطون الْحيتَان ومدارج الرِّيَاح كَيفَ تسْأَل أجزاؤه مَعَ تفرقها؟! وَكَيف يتَصَوَّر مَسْأَلَة الْملكَيْنِ لمن هَذَا وَصفه؟! وَكَيف يصير الْقَبْر على هَذَا رَوْضَة من رياض الْجنَّة أَو حُفْرَة من حفر النَّار؟! وَكَيف يضيّق عَلَيْهِ حَتَّى تلتئم أضلاعه؟!»[1].

ثم أجاب ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: وَنحن نذْكر أمورا يُعْلَمُ بهَا الْجَواب:

الْأَمر الأول: أَن يعلم أَن الرُّسُل صلوَات الله وَسَلَامه عَلَيْهِم لم يخبروا بِمَا تحيله الْعُقُول وتقطع باستحالته بل إخبارهم قِسْمَانِ:

أَحدهمَا: مَا تشهد بِهِ الْعُقُول وَالْفطر.

الثَّانِي: مَالا تُدْرِكهُ الْعُقُول بمجردها كالغيوب الَّتِي أخبروا بهَا عَن تفاصيل البرزخ وَالْيَوْم الآخر وتفاصيل الثَّوَاب وَالْعِقَاب، وَلَا يكون خبرهم محالا فِي الْعُقُول أصلا، وكل خبر يُظنّ أَن الْعقل يحيله فَلَا يَخْلُو من أحد أَمريْن: أما يكون الْخَبَر كذبا عَلَيْهِم، أَو يكون ذَلِك الْعقل فَاسِدا، وَهُوَ شُبْهَة خيالية يظنّ صَاحبهَا أَنَّهَا مَعْقُول صَرِيح؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ [سبأ: ٦][2].

- **الْأَمر الثاني**: أَن الله سُبْحَانَهُ جعل الدّور ثَلَاثًا دَار الدُّنْيَا وَدَار البرزخ وَدَار الْقَرار، وَجعل لكل دَار أحكاما تخْتَص بهَا، وَركَّب هَذَا الإنسان من بدنٍ وَنَفس، وَجعل أَحْكَام دَار الدُّنْيَا على الْأَبدَان، والأرواحَ تبعا لَهَا، وَلِهَذَا

(١) الروح (ص ٣٠٧)، وانظر أيضا: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص ٣٧٢، ٣٧٣).

(٢) الروح (ص ٣٠٩).

جعل أَحْكَامه الشَّرْعِيَّة مرتبَة على مَا يظْهر من حركات اللِّسَان والجوارح وإنْ أضمرت النُّفُوس خِلَافه، وَجعل أَحْكَام البرزخ على الْأَرْوَاح والأبدان تبعا لَهَا، فكَمَا تبِعت الْأَرْوَاح الْأَبدَان فِي أَحْكَام الدُّنْيَا فتألمت بألمها والتذت براحتها وَكَانَت هي الَّتِي باشرت أَسبَاب النَّعيم وَالْعَذَاب تبِعت الْأَبدَان الْأَرْوَاح فِي نعيمها وعذابها والأرواح حِينَئِذٍ هي الَّتِي تباشر الْعَذَاب وَالنَّعِيم، فالأبدان هُنَا ظَاهِرَة والأرواح خفية، والأبدان كالقبور لَهَا، والأرواح هُنَاكَ ظَاهِرَة والأبدان خفية فِي قبورها تجرى أَحْكَام البرزخ على الْأَرْوَاح فتسري إِلَى أبدانها نعيما أَو عذَابا، كَمَا تجري أَحْكَام الدُّنْيَا على الْأَبدَان فتسري إِلَى أرواحها نعيما أَو عذَابا؛ فأَحِطْ بِهَذَا الْموضع علما، واعرفه كَمَا ينبغي؛ يزِيل عَنْك كل اشكال يُورَدُ عَلَيْك من دَاخل وخارج.

وَقد أرانا الله سُبْحَانَهُ بِلُطْفِهِ وَرَحمته وهدايته من ذَلِك أنموذجا فِي الدُّنْيَا من حَال النَّائِم فَإِن مَا ينعم بِهِ أَو يعذب فِي نَومه يجري على رُوْحِهِ أصلا وَالْبدن تبعٌ لَهُ، وَقد يقوى حَتَّى يُؤثر فِي الْبدن تأثيرا مشاهدا، فَيرى النَّائِم فِي نَومه أَنه ضُرِبَ فَيُصْبِح وَأثر الضَّرْب فِي جِسْمه، وَيرى أَنه قد أكل أَو شرب فيستيقظ وَهُوَ يجد أثر الطَّعَام وَالشرَاب فِي فِيهِ، وَيذْهب عَنهُ الْجُوع والظمأ. وأعجب من ذَلِك أَنَّك ترى النَّائِم يقوم فِي نَومه وَيضْرب ويبطش ويدافع كَأَنَّهُ يقظان وَهُوَ نَائِم لَا شُعُور لَهُ بشيء من ذَلِك، وَذَلِكَ أَنَّ الحُكْمَ لما جرى على الرّوح استعانت بِالْبدنِ من خَارجه، وَلَو دخلت فِيهِ لاستيقظ وأحسَّ، فَإِذا كَانَت الرّوح تتألم وتتنعم ويصل ذَلِك إِلَى بدنهَا بطرِيق الاستتباع فَهَكَذَا فِي البرزخ، بل أعظم، فَإِنَّ تجرد الرّوح هُنَالك أكمل وَأقوى، وهى مُتَعَلقَة ببدنها لم تَنْقَطِع عَنهُ كل الِانْقِطَاع، فَإِذا كَانَ يَوْم حشر الأجساد وَقيام النَّاس

من قُبُورهم صَار الحكم وَالنَّعِيم وَالْعَذَاب على الْأَرْوَاح والأجساد ظَاهرا باديا أصلا.

وَمَتى أَعْطَيْت هَذَا الْموضع حَقه تبين لَك أَن مَا أخبر بِهِ الرَّسُول من عَذَاب الْقَبْر ونعيمه وضِيْقِهِ وسَعَتِهِ وضَمِّهِ وَكَونه حُفْرَة من حفر النَّار أَو رَوْضَة من رياض الْجنَّة مُطَابق لِلْعَقْل، وَأَنه حَقٌّ لَا مِرْيَةَ فِيهِ، وَإِن مَنْ أشكل عَلَيْهِ ذَلِك فَمن سوء فهمه وَقلة علمه أُتِي كَمَا قيل:

وَكم من عائب قولا صَحِيحا وآفته من الْفَهم السقيم

وأعجب من ذَلِك أَنَّك تَجِد النائمين فِي فرَاش وَاحِد وَهَذَا روحه فِي النَّعيم وَيَسْتَيْقِظ وَأثر النَّعيم على بدنه، وَهَذَا روحه فِي الْعَذَاب، وَيَسْتَيْقِظ وَأثر الْعَذَاب على بدنه، وَلَيْسَ عِنْد أَحدهمَا خبر عِنْ الآخر، فَأمر البرزخ أعجب من ذَلِك[(١)].

الْأَمر الثالث: أَن الله سُبْحَانَهُ جعل أَمر الْآخِرَة وَمَا كَانَ مُتَّصِلا بهَا غيبا وحَجَبَهَا عَن إِدْرَاك الْمُكَلّفين فِي هَذِه الدَّار، وَذَلِكَ من كَمَال حكمته وليتميز الْمُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ من غَيرهم، فَأول ذَلِك أَن الْمَلَائِكَة تنزل على المحتضر، وتجلس قَرِيبا مِنْهُ، ويشاهدهم عيَانًا، وَيَتَحَدَّثُونَ عِنْده، وَمَعَهُمْ الأكفان والحنوط إِمَّا من الْجنَّة وَإِمَّا من النَّار، ويؤَمِّنُوْنَ على دُعَاء الْحَاضِرين بِالْخَيرِ وَالشَّر ولا يشعر الحاضرون بشيء من ذلك[(٢)].

الْأَمر الْرابع: أَن النَّار الَّتِي فِي الْقَبْر والخُضْرَة لَيست من نَار الدُّنْيَا وَلَا من

(١) السابق (ص ٣١١، ٣١٢).

(٢) السابق (ص ٣١٣).

زروع الدُّنْيَا فيشاهده من شَاهد نَار الدُّنْيَا وخضرها، وَإِنَّمَا هي من نَار الْآخِرَة وخضرها، وهي أَشد من نَار الدُّنْيَا فَلَا يحس بِهِ أهل الدُّنْيَا(١).

الْأَمر الخامس: أَن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُحْدِثُ فِي هَذِه الدَّار مَا هُوَ أعجب من ذَلِك فَهَذَا جِبْرِيل كَانَ ينزل على النَّبِي ﷺ ويتمثل لَهُ رجلا فيكلمه بِكَلَام يسمعهُ وَمن إِلى جَانب النبي لَا يرَاهُ وَلَا يسمعهُ، وَهَؤُلَاء الْجِنّ يتحدثون ويتكلمون بالأصوات المرتفعة بَيْننَا وَنحن لَا نسمعهم، وَقد كَانَت الْمَلَائِكَة تضرب الْكفَّار بالسياط وتضرب رقابهم وتصيح بهم والمسلمون مَعَهم لَا يرونهم وَلَا يسمعُونَ كَلَامهم، وَالله سُبْحَانَهُ قد حجب بني آدم عَن كثير مِمَّا يُحدثه فِي الأَرْض وَهُوَ بَينهم، وَقد كَانَ جِبْرِيل يقرئ النَّبِي ويدارسه الْقُرْآن والحاضرون لَا يسمعونه، وَكَيف يستنكر من يعرف الله سُبْحَانَهُ ويقرّ بقدرته أَن يحدث حوادث يصرف عَنْهَا أبصار بعض خلقه حِكْمَة مِنْهُ وَرَحْمَة بهم؛ لأَنهم لَا يُطِيقُونَ رؤيتها وسماعها وَالْعَبْد أَضْعَف بصرا وسمعا من أَن يثبت لمشاهدة عَذَاب الْقَبْر(٢).

الْأَمر السادس: أَنه غير مُمْتَنع أَن ترد الرّوح إِلَى المصلوب والغريق والمحرق وَنحن لَا نشعر بهَا؛ لِأَن ذَلِك الرَّد نوع آخر غير الْمَعْهُود، فَهَذَا الْمغمَى عَلَيْهِ والمسكوت والمبهوت أَحيَاء وأرواحهم مَعَهم، وَلَا تشعر بحياتهم، وَمن تَفَرَّقت أجزاؤه لَا يمْتَنع على من هُوَ على كل شَيْء قدير أَن يَجْعَل للروح اتِّصَالاً بِتِلْكَ الْأَجْزَاء على تبَاعد مَا بَينهَا وقربه، وَيكون فِي

---

(١) الروح (ص ٣١٦)

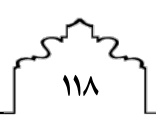
(٢) الروح (ص ٣٢٦)

تِلْكَ الْأَجْزَاء شُعُور بِنَوْع من الْأَلَـم واللذة، وَإِذا كَانَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد جعل فِي الجمادات شعورا وإدراكا تسبّح رَبهَا بِهِ وَتسقط الْحِجَارَة من خَشيته وتسجد لَهُ الْجبَال وَالشَّجر وتسبحه الْحَصَى والمياه والنبات قَالَ تَعَالَى ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]، وَلَو كَانَ التَّسْبِيح هُوَ مُجَرّد دلالتها على صانعها لم يقل ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ فَإِن كل عَاقل يفقه دلالتها على صانعها[1].

وقال القرطبي في «التذكرة» في تقرير عذاب القبر والرد على مَنٍ أنكره: «إنا نؤمن بما ذكرناه، ولله أن يفعل ما يشاء من عقاب ونعيم، ويصرف أبصارنا عن جميع ذلك، بل يغيّبه عنا، فلا يبعد في قدرة الله تعالى فِعْل ذلك كله، إذ هو قادر على كل ممكن جائز، فإنَّا نحن لو شئنا لأزلنا الزئبق عن عينيه ثم نضجعه، ونردّ الزئبق مكانه، وكذلك يمكننا أن نعمق القبر ونوسّعه حتى يقوم فيه قيامًا فضلا عن القعود، وكذلك يمكننا أن نعمّق القبر مائتي ذراع فضلا عن سبعين ذراعا، والرب سبحانه أبسط منا قدرة وأقوى منا قدرة، وأسرع فعلا، وأحصى منا حسابًا إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون، ولا رب لمن يدعي الإسلام إلا من هذه صفته، فإذا كشفنا عن ذلك رد الله سبحانه الأمر على ما كان، نعم بل لو كان الميت بيننا موضوعا فلا يمتنع أن يأتيه الملكان يسألانه من غير أن يسمع الحاضرون جوابه، ومثال ذلك: نائمان بيننا أحدهما يُنَعَّم والآخر يعذب، ولا يشعر أحد بذلك ممن حولهما من المنتبهين، ثم إذا استيقظا أخبر كُلُّ واحدٍ منهما عما كان فيه.

---

(١) الروح (ص ٣٢٩)



وبالجملة فأحوال المقابر وأهلها على خلاف عادات أهل الدنيا في حياتهم، فليس تُقاس أحوال الآخرة على أحوال الدنيا، وهذا مما لا خلاف فيه، ولولا أخبر الصادق بذلك لم نعلم شيئا مما هنالك»[١].

(١) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص ٣٧٢، ٣٧٣).

المبحث الخامس

الأدلة على ثبوت نعيم القبر

إذا ثبت عذابُ القبرِ وجبَ القولُ بنعيم القبر وثوابه أيضًا، لأنَّ العذاب حق الله تعالى على العبد، والثواب فضل وجزاء للعبد من الله تعالى، فإسقاط العقاب أحسن من إسقاط الثواب، فلمّا لم يسقط العقاب في البرزخ بل حققه في القبر، كان ذلك في الثواب أولى.

وقد ثبت نعيم القبر في كثير من الآيات منها قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦٩ - ١٧١] فأثبت لهم نعيمًا وفضلا وحياة عند ربهم قبل يوم القيامة، وهو ما صرحت به أحاديثُ النبي ﷺ.

وأخرج مسلم وغيره عن مَسْرُوق قَالَ: «سَأَلْنَا عبد الله عَنْ هَـذِهِ الْآيَة ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩] فَقَالَ: أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: إِنَّ أَرْوَاحهمْ فِي جَوْف طَيْر خُضْر، لَهَا قَنَادِيل مُعَلَّقَة بِالْعَرْشِ، تَسْرَح فِي الْجَنَّة حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تَلِك الْقَنَادِيل»[1].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة، وأنهم أحياء عند ربهم يُرزقون، (١٤/ ٣١)، والترمذي كتاب التفسير باب «ومن سورة آل عمران» (ص ٦٣٧- ٦٣٨)، (ح ٣٠١١)، وابن ماجه، كتاب الجهاد باب فضل الشهادة
=

ولا يقتصر نعيم الجنة على الشهداء، وإنما يتنعم المؤمنون أيضًا في البرزخ بنعيم الجنة.

قال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٣٢]، فأثبت لهم دخولا للجنة بعد الوفاة فيكون دليلا على نعيم القبر.

وأخرج مالك في «الموطأ» وأحمد في «مسنده» وابن ماجة عن كعب بن مالك قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُسْلِمِ طَيْرٌ تَعْلُقُ فِى شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يُرْجِعَهَا اللهُ عَزَّوَجَلَّ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(١).

وقد سبق حديث البَرَاء بن عَازِب الطويل فيما يحدث للمؤمن بعد سؤال الملكين، وفيه أن النبي ﷺ قال: «... فَيُنَادِى مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ». قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا وَيُفْسَحُ لَهُ فِى قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ»، قَالَ: «وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِى كُنْتَ تُوعَدُ. فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ... »(٢).

=

في سبيل الله (ص٣٠٦) (ح ٢٨٠١). وبنحوه أخرجه أبو داود من حديث ابن عباس، كتاب الجهاد باب فضل الشهادة (ص٤٤٣) (ح ٢٥٢٠).

(١) أخرجه مالك في الموطأ، باب جامع الجنائز (ص ٣٩٢) (ح ٩٩٢)، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر القبر والبلى (ص ٤٦٠) (٤٢٧١).

(٢) سبق تخريجه.

المبحث السادس

عذاب القبر ونعيمه على الروح والجسد

«الإنسان» اسم للروح والجسد جميعًا، ولا ينصرف الإطلاقُ إلى أحدهما إلا بدليلٍ منفصل، ومن ثَمَّ فالأصلُ أنَّ نعيمَ القبرِ وعذابَهِ يكونُ للروحِ والجسدِ جميعًا، فتنعمُ الروحُ أو تعذبُ متصلةً بالجسدِ، فيكونُ النعيم والعذاب عليهما جميعًا، كما أنَّه قد تنعم الروح أو تُعذب أحيانًا منفصلة عن الجسد، فيكون النعيمُ أو العذابُ للروح منفردةً عن الجسدِ. وعلى هذا دَلَّت نصوصُ الكتابِ والسنةِ المطهرة.

فمن الأدلة على أنَّ العذابَ للروحِ والجسدِ جميعًا حديثُ أنس بن مالك الذي أخرجه البخاري في صحيحه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:

«إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِى قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ فَيَقُولاَنِ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِى الرَّجُلِ - لِمُحَمَّدٍ ﷺ - فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عبد اللهِ وَرَسُولُهُ. فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا».

قَالَ قَتَادَةُ: وَذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ يُفْسَحُ فِى قَبْرِهِ.

ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ أَنَسٍ قَالَ: «وَأَمَّا الْمُنَافِقُ وَالْكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِى هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ! فَيُقَالُ: لاَ دَرَيْتَ، وَلاَ تَلَيْتَ. وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ»(١).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر (٢/ ٩٨) (ح ١٣٧٤).

وقد ورد في بعض النصوص ما يفيد أنَّ النعيم أو العذاب قد يقع على الروح منفردة عن الجسد كما ثبت في الحديث الذي أخرجه أبو داود عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأُحُدٍ جَعَلَ اللهُ أَرْوَاحَهُمْ فِى جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِى ظِلِّ الْعَرْشِ فَلَمَّا وَجَدُوا طِيبَ مَأْكَلِهِمْ وَمَشْرَبِهِمْ وَمَقِيلِهِمْ، قَالُوا: مَنْ يُبَلِّغُ إِخْوَانَنَا عَنَّا أَنَّا أَحْيَاءٌ فِى الْجَنَّةِ نُرْزَقُ لِئَلاَّ يَزْهَدُوا فِى الْجِهَادِ وَلاَ يَنْكُلُوا عِنْدَ الْحَرْبِ؟ فَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ. قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا ﴾[آل عمران: ١٦٩]»[1].

وأخرج مسلم وغيره عن مَسْرُوق قَالَ:

«سَأَلْنَا عبد الله عَنْ هَذِهِ الْآيَة: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩] فَقَالَ: أَمَّا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ: إِنَّ أَرْوَاحهمْ فِي جَوْف طَيْر خُضْر ، لَهَا قَنَادِيل مُعَلَّقَة بِالْعَرْشِ، تَسْرَح فِي الْجَنَّة حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تَلِك الْقَنَادِيل»[2].

---

(١) أخرجه أبو داود بسند حسن عن ابن عباس كتاب الجهاد، باب فضل الشهادة (ص٤٤٣) (ح ٢٥٢٠)، والترمذي كتاب التفسير، باب ومن سورة آل عمران (٣٠١١) ببعضه، وقال التِّرْمِذِيّ عقبه: «هذا حديث حسن صحيح».

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون (١٤/ ٣١)، والترمذي كتاب التفسير باب «ومن سورة آل عمران» (ص ٦٣٧- ٦٣٨)، (ح ٣٠١١)، وابن ماجه، كتاب الجهاد باب فضل الشهادة في سبيل الله (ص٣٠٦) (ح ٢٨٠١) وبنحوه أبو داود من حديث ابن عباس، كتاب الجهاد باب فضل =

وأخرج مالك في «الموطأ» وأحمد في «مسنده» وابن ماجة عن كعب بن مالك قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُسْلِمِ طَيْرٌ تَعْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يُرْجِعَهَا اللهُ عَزَّوَجَلَّ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[(١)].

فدَلَّت هذه الأحاديث أن أرواح المؤمنين تكون في الجنة وهي تتفاوت بتفاوت درجاتها، وهذا لا يمنع أن يكونَ لها تعلقٌ بالبدنِ فهي وإن فارقت البدنَ فلا تفارقُهُ مفارقةً كليةً، وإنَّما لها تعلقٌ به من وجه، ومفارقةٌ من وجهٍ آخر، وهي تعودُ إليه متى شاءَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ.

قال ابن القيم: «فلتعلم أَن مَذْهَب سلف الْأمة وأئمتها أَن الْمَيِّت إِذا مَاتَ يكون فِي نعيم أَو عَذَاب، وَأَن ذَلِك يحصل لروحه وبدنه، وَأَن الرّوح تبقى بعد مُفَارقَة الْبدن مُنَعَّمَة أَو معذبة، وَأَنَّهَا تتصل بِالْبدنِ أَحْيَانًا، وَيحصل لَهُ مَعهَا النَّعيم أَو الْعَذَاب، ثمَّ إِذا كَانَ يَوْم الْقِيَامَة الْكُبْرَى أُعِيدَت الْأَرْوَاح إِلَى الأجساد، وَقَامُوا من قُبُورهم لرب الْعَالمين»[(٢)].

قال ابن كثير في «التفسير» عند معرِض حديثه عن المشركين: «وهم يدخلون جهنم من يوم مماتهم بأرواحهم، ويأتي أجسادَهم في قبورهم من حَرِّهَا وسَمُوْمِهَا، فإذا كان يوم القيامة سُلِكَتْ أرواحُهُم في أجسادهم وخُلِّدَت في نار جهنم كما قال تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم

=

الشهادة (ص٤٤٣) (ح ٢٥٢٠).

(١) أخرجه مالك في الموطأ، باب جامع الجنائز (ص٣٩٢) (ح ٩٩٢)، ابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر القبر والبِلَى (ص ٤٦٠) (٤٢٧١).

(٢) الروح لابن القيم (ص ٢٨٣).

مِّنۡ عَذَابِهَا ﴾ [فاطر: ٣٦]، وكما قال تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٦]»[(١)].

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ٥٦٧).

المبحث السابع

محل أرواح الموتى في البرزخ

اختلف العلماء في محل أرواح الموتى على أقوال متعددة، وكما هو منهجنا في هذا البحث فإننا نعرض للراجح من أقوال العلماء الذي تؤيده الأدلة من كتاب الله وما صح من سنة رسول الله ﷺ[١].

والحديثُ على مُسْتَقَرِّ أرواح الموتى يشتمل على عدة مراتب هي:

الأول: أرواح الأنبياء.

الثاني: أرواح الشهداء.

الثالث: أرواح المؤمنين سوى الشهداء، ويشتمل على قسمين:

الأول: أرواح أهل التكليف.

الثاني: أرواح غير أهل التكليف كأرواح أطفال المؤمنين.

الرابع: أرواح عصاة الموحدين.

الخامس: أرواح الكفار.

أولا: أرواح الأنبياء:

أما الأنبياء عليهم السلام فأرواحهم عند الله في أعلى عليين، وقد ثبت أَنَّ آخرَ كلمة تَكَلَّمَ بها رسول الله ﷺ عند موته: «اللهم الرفيق الأعلى»، وكررها

(١) وقد تعرَّضَ ابنُ رجب في كتابه «أهوال القبور» في الباب التاسع (ص ١٦٠ وما بعدها)، وابن القيم في كتابه «الروح» في المسألة الخامسة عشرة (ص ٣٧٤ وما بعدها) لهذه المسألة، وقد استفدتُ منهما في كتابة هذا المبحث، وبخاصة الكتاب الأول منهما.

حتى قُبِضَ. ففي الصحيحَيْن من حديث أم المؤمنين عَائِشَةَ قَالَتْ:

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ وَهُوَ صَحِيحٌ: «إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ، ثُمَّ يُخَيَّرَ»، فَلَمَّا نَزَلَ بِهِ - وَرَأْسُهُ عَلَى فَخِذِي - غُشِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ، فَأَشْخَصَ بَصَرَهُ إِلَى سَقْفِ البَيْتِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الأَعْلَى».

فَقُلْتُ: إِذًا لاَ يَخْتَارُنَا، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ الحَدِيثُ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا وَهُوَ صَحِيحٌ.

قَالَتْ: فَكَانَتْ آخِرَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا: «اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الأَعْلَى»[١].

قال النووي في «شرح مسلم»: «الصَّحِيحُ الَّذِي عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى الْأَنْبِيَاءُ السَّاكِنُونَ أَعْلَى عِلِّيِّينَ، وَلَفْظَةُ (رَفِيقٍ) تُطْلَقُ عَلَى الْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ؛ قَالَ اللهُ تعالى ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]. وَقِيلَ: هُوَ اللهُ تَعَالَى، يُقَالُ: «اللهُ رَفِيقٌ بِعِبَادِهِ» مِنَ الرِّفْقِ وَالرَّأْفَةِ، فَهُوَ فَعِيلٌ بِمَعْنَى فَاعِلٍ»[٢].

ثانيا: أرواح الشهداء:

أكثر العلماء على أنهم في الجنة، وهو الصحيح الذي دلت عليه كثير من الأحاديث الصحيحة، ونذكر منها:

- ما أخرج مسلم وغيره عن مَسْرُوق قَالَ:

«سَأَلْنَا عبد الله عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، بَابُ مَرَضِ النَّبِيِّ ﷺ وَوَفَاتِهِ (٦/ ١٥)(ح ٤٤٦٣)، مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، بَابٌ فِي فَضْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا (١٥/ ٢٠٨).

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (١٥/ ٢٠٨).

أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩] فَقَالَ: أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: إِنَّ أَرْوَاحهمْ فِي جَوْف طَيْر خُضْر، لَهَا قَنَادِيل مُعَلَّقَة بِالْعَرْشِ، تَسْرَح فِي الْجَنَّة حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلك الْقَنَادِيل»[١].

- وأخرج أبو داود عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأُحُدٍ جَعَلَ اللهُ أَرْوَاحَهُمْ فِى جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِى ظِلِّ الْعَرْشِ فَلَمَّا وَجَدُوا طِيبَ مَأْكَلِهِمْ وَمَشْرَبِهِمْ وَمَقِيلِهِمْ قَالُوا: مَنْ يُبَلِّغُ إِخْوَانَنَا عَنَّا أَنَّا أَحْيَاءٌ فِى الْجَنَّةِ نُرْزَقُ لِئَلاَّ يَزْهَدُوا فِى الْجِهَادِ وَلاَ يَنْكُلُوا عِنْدَ الْحَرْبِ فَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ. قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢا ... ﴾ [آل عمران: ١٦٩] »[٢].

- ويشهد لهذه النصوص أيضا ما في الصحيحين عن جَابِرَ بن عبد اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فَأَيْنَ أَنَا؟ قَالَ: «فِي الجَنَّةِ»، فَأَلْقَى تَمَرَاتٍ فِي يَدِهِ، ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ»[٣].

- وفي «صحيح مسلم» عَنْ أَنَسِ بن مَالِكٍ أن النبي ﷺ قال لأصحابه يوم بدر: «قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ»[٤].

---

(١) تقدم تخريجه في المبحث الخامس.

(٢) تقدم تخريجه في المبحث الخامس.

(٣) أخرجه البخاري كتاب المغازي، بَابُ غَزْوَةِ أُحُدٍ (٥/ ٩٥)، مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة باب ثبوت الجنة للشهيد (١٣/ ٤٣).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد (١٣/ ٤٥).

- وأخرج البخاري عن أَنَس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: أُصِيبَ حَارِثَةُ يَوْمَ بَدْرٍ وَهُوَ غُلاَمٌ، فَجَاءَتْ أُمُّهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ عَرَفْتَ مَنْزِلَةَ حَارِثَةَ مِنِّي، فَإِنْ يَكُنْ فِي الجَنَّةِ أَصْبِرْ وَأَحْتَسِبْ، وَإِنْ تَكُ الأُخْرَى تَرَى مَا أَصْنَعُ، فَقَالَ: «وَيْحَكِ، أَوَهَبِلْتِ، أَوَجَنَّةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ! إِنَّهَا جِنَانٌ كَثِيرَةٌ، وَإِنَّهُ فِي جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ»[١].

فهذه الأحاديث واضحة الدلالة على أن أرواح الشهداء في الجنة.

ثالثا: محل أرواح المؤمنين سوى الشهداء:

ويشمل قسمين:

الأول: غير أهل التكليف كأطفال المؤمنين:

أكثر العلماء أنهم في الجنة، وهو الصحيح الذي تؤيده الأدلة الصحيحة ومنها:

الأول: ما ثبت في «صحيح مسلم» لَمَّا تُوُفِّيَ إِبْرَاهِيمُ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ ابْنِي، وَإِنَّهُ مَاتَ فِي الثَّدْيِ، وَإِنَّ لَهُ لَظِئْرَيْنِ تُكَمِّلاَنِ رَضَاعَهُ فِي الْجَنَّةِ»[٢].

الثاني: ما أخرجه أحمد وابن حبان وغيرهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - فِيمَا أَعْلَمُ شَكَّ مُوسَى - قَالَ: «ذَرَارِيُّ الْمُسْلِمِينَ فِي الْجَنَّةِ، يَكْفُلُهُمْ إِبْرَاهِيمُ»[٣].

الثالث: ما أخرج أحمد والنسائي والحاكم عَنْ مُعَاوِيَةَ بن قُرَّةَ عَنْ أَبِيهِ:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المغازي، بَابُ فَضْلِ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا (٧/ ٣٠٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الفضائل بَابُ رَحْمَتِهِ ﷺ بالصِّبْيَانَ (١٥/ ٧٦).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (١٤/ ٧١)، وابن حبان في صحيحه كما في «التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان» (ح٧٤٠٣) (١٠/ ٤٢٩)، وصححه الألباني.

أَنَّ رَجُلاً كَانَ يَأْتِي النَّبِيَّ ﷺ وَمَعَهُ ابْنٌ لَهُ، فَقَالَ لَهُ: النَّبِيّ ﷺ: «أَتُحِبُّهُ؟»، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَحَبَّكَ اللهُ كَمَا أُحِبُّهُ، فَفَقَدَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «مَا فَعَلَ ابْنُ فُلَانٍ؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ مَاتَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِيهِ: «أَمَا تُحِبُّ أَنْ لَا تَأْتِيَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ إِلَّا وَجَدْتَهُ يَنْتَظِرُكَ؟» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ أَلَهُ خَاصَّةً أَمْ لِكُلِّنَا؟ قَالَ: «بَلْ لِكُلِّكُمْ»[(١)].

قال النووي في «شرح مسلم»: «أَجْمَعَ مَنْ يُعْتَدُّ بِهِ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّ مَنْ مَاتَ مِنْ أَطْفَالِ الْمُسْلِمِينَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ لِأَنَّهُ لَيْسَ مُكَلَّفًا، وَتَوَقَّفَ فِيهِ بَعْضُ مَنْ لَا يُعْتَدُّ بِهِ لِحَدِيثِ عَائِشَةَ هَذَا، وَأَجَابَ الْعُلَمَاءُ بِأَنَّهُ لَعَلَّهُ نَهَاهَا عَنِ الْمُسَارَعَةِ إِلَى الْقَطْعِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ عِنْدَهَا دَلِيلٌ قَاطِعٌ كَمَا أَنْكَرَ عَلَى سَعْدِ بن أَبِي وَقَّاصٍ فِي قَوْلِهِ: أَعْطِهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا قَالَ: «أَوْ مُسْلِمًا...» الْحَدِيثَ[(٢)]، وَيُحْتَمَلُ أَنَّهُ ﷺ قَالَ هَذَا قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ أَطْفَالَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْجَنَّةِ، فَلَمَّا عَلِمَ قَالَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ ﷺ: «ما من النَّاسِ مُسْلِمٌ يَمُوتُ لَهُ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ»[(٣)]، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْأَحَادِيثِ، وَاللهُ أَعْلَمُ»[(٤)].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ط. الرسالة (٢٤/ ٣٦١)، والنسائي في السنن الصغرى (٤/ ٢٢)، وصححه الألباني في «أحكام الجنائز» (ص ١٦٢) (١١١).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب إذا لم يكن الإيمان على الحقيقة وكان على الاستسلام (١/ ١٤) (٢٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب تألف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه والنهي عن القطع بالإيمان من غير دليل قاطع (٢/ ١٨٠ - ١٨٢).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المسلمين (٢/ ١٠٠) (ح ١٣٨١).

(٤) شرح النووي على مسلم (١٦/ ٢٠٨).

وحديث عائشة الذي أشار إليه النووي وأجاب عنه هو ما أخرجه مسلم عنها أنها قالت:

تُوُفِّي صَبِيٌّ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَتْ: طُوبَى لَهُ عُصْفُورٌ مِنْ عَصَافِيرِ الْجَنَّةِ لَمْ يَعْمَلِ السُّوءَ وَلَمْ يُدْرِكْهُ. قَالَ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ يَا عَائِشَةُ! إِنَّ اللهَ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلاً خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ، وَخَلَقَ لِلنَّارِ أَهْلاً خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ»(١).

أما أولاد المشركين فالصحيح أنهم في الجنة أيضًا لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، وقد ماتوا قبل بلوغ التكليف فلم يقع منهم ما يستوجب العذاب.

وفي حديث سَمُرَةَ بن جُنْدُبٍ وقد سبق عن النبي ﷺ: «... وَالشَّيْخُ فِي أَصْلِ الشَّجَرَةِ إِبْرَاهِيمُ - عَلَيْهِ السَّلاَمُ -، وَالصِّبْيَانُ حَوْلَهُ فَأَوْلاَدُ النَّاسِ... »، فقوله «أولاد الناس» يشمل أولاد المسلمين والمشركين(٢).

قال النووي في «شرح مسلم»: «وَأَمَّا أَطْفَالُ الْمُشْرِكِينَ فَفِيهِمْ ثَلَاثَةُ مَذَاهِبَ: قال الْأَكْثَرُونَ هُمْ فِي النَّارِ تَبَعًا لِآبَائِهِمْ، وَتَوَقَّفَتْ طَائِفَةٌ فِيهِمْ، وَالثَّالِثُ - وَهُوَ الصَّحِيحُ الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ الْمُحَقِّقُونَ - أَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَيُسْتَدَلُّ لَهُ بِأَشْيَاءَ مِنْهَا حَدِيثُ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ ﷺ حِينَ رَآهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْجَنَّةِ وَحَوْلَهُ أَوْلَادُ النَّاسِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ؟ قَالَ: «وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»، وَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب القدر، باب كل مولود يولد على الفطرة (١٦/ ٢١٢).

(٢) سبق تخريجه.

كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ [الإسراء: ١٥]، وَلَا يَتَوَجَّهُ عَلَى الْمَوْلُودِ التَّكْلِيفِ وَلا يَلْزَمُهُ قَوْلُ الرَّسُولِ حَتَّى يَبْلُغَ، وَهَذَا مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ»[١].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ عند شرحه لما أخرجه مسلم عن أبي هريرة أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»[٢]: «وَالْأَصَحُّ أَنَّ مَعْنَاهُ أَنَّ كُلَّ مَوْلُودٍ يُولَدُ مُتَهَيِّئًا لِلْإِسْلَام، فَمَنْ كَانَ أَبَوَاهُ أَوْ أَحَدُهُمَا مُسْلِمًا اسْتَمَرَّ عَلَى الْإِسْلَامِ فِي أَحْكَامِ الْآخِرَةِ وَالدُّنْيَا، وَإِنْ كَانَ أَبَوَاهُ كَافِرَيْنِ جَرَى عَلَيْهِ حُكْمُهُمَا فِي أَحْكَامِ الدُّنْيَا، وَهَذَا مَعْنَى (يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ)، أَيْ: يَحْكُمُ لَهُ بِحُكْمِهِمَا فِي الدُّنْيَا، فَإِنْ بَلَغَ اسْتَمَرَّ عَلَيْهِ حُكْمُ الْكُفْرِ وَدِينِهِمَا، فَإِنْ كَانَتْ سَبَقَتْ لَهُ سَعَادَةٌ أَسْلَمَ، وَإِلَّا مَاتَ عَلَى كُفْرِهِ. وَإِنْ مَاتَ قَبْلَ بُلُوغِهِ فَهَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَم النَّارِ أَمْ يَتَوَقَّفُ فِيهِ؟ فَفِيهِ الْمَذَاهِبُ الثَّلَاثَةُ السَّابِقَةُ قَرِيبًا، الْأَصَحُّ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»[٣].

أما ما أخرجه مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ عَنْ أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ: «اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ»[٤] فأجاب النووي بقوله: «إِنَّهُ لَيْسَ فِيهِ تَصْرِيحٌ بِأَنَّهُمْ فِي النَّارِ، وَحَقِيقَةُ لَفْظِهِ «اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»

(١) شرح النووي على مسلم (١٦/ ٢٠٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في عدة مواضع منها كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه (٣/ ٢٦٠) (رقم ١٣٥٩)، كتاب التفسير (٨/ ٣٧٢) رقم (٤٧٧٥)، ومسلم في صحيحه كتاب القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة (١٦/ ٢٠٧)، وأحمد في مسنده (١٢/ ١٠٤) (ح ٧١٨١).

(٣) شرح النووي على مسلم (١٦/ ٢٠٨).

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب القدر، باب كل مولود يولد على الفطرة (١٦/ ٢١٤).

لَوْ بَلَغُوا، وَلَمْ يَبْلُغُوا إِذِ التَّكْلِيفُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْبُلُوغِ»[(١)].

الثاني: أهل التكليف من المؤمنين سوى الشُّهَدَاء:

فأرواحهم تكون في الجنة أيضا لكنها في منزلةٍ دون منزلة الأنبياء والشهداء؛ فقد أخرج مالك في «الموطأ» وأحمد في «مسنده» وابن ماجة عن كعب بن مالك قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُسْلِمِ طَيْرٌ تَعْلُقُ فِى شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يُرْجِعَهَا اللهُ عَزَّوَجَلَّ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[(٢)].

رابعا: أرواح عُصَاة المؤمنين:

فَهُم تحت مشيئة الله عَزَّوَجَلَّ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُم في قبورهم وإِنْ شَاءَ عَفَا عنهم بفضله سبحانه وتعالى، وقد تعذب فترة ثم يخفف عنها العذاب أو ينقطع.

وقد ثبت في الأحاديث أنها تكون معذبة في قبورها كما ثبت في حديث الرجلين اللذين أخبر النبي ﷺ أنهما يعذبان وما يعذبان في كبير، أخرج البخاري في «صحيحه» قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ - رضى الله عنهما -: مَرَّ النبي ﷺ عَلَى قَبْرَيْنِ فَقَالَ: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ مِنْ كَبِيرٍ»، ثُمَّ قَالَ: «بَلَى أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَسْعَى بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لاَ يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ»[(٣)].

وقد ثبت في الحديث عن سَمُرَة بن جُنْدُب أَنَّ النبي رأى في منامه طرفا من عذاب القبر لأناس يعذبون في قبورهم ويتفاوت العذاب بحسب ذنب

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٦/ ٢٠٨).

(٢) أخرجه مالك في الموطأ، باب جامع الجنائز (ص ٣٩٢) (ح ٩٩٢)، ابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر القبر والبلى (ص ٤٦٠) (٤٢٧١).

(٣) تقدم تخريجه في (المبحث الرابع).

صاحبه، وقد سبق الكلام عليه عند حديثنا عن الأدلة على إثبات عذاب القبر(١).

خامسا: أرواح الكافرين: ثبت في الأحاديث أنها تكون معذبة في قبورها، وأنها تُعرض على نار جهنم، ففي الصحيحَيْن من حديث أَبِي أَيُّوبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَدْ وَجَبَتِ الشَّمْسُ، فَسَمِعَ صَوْتًا فَقَالَ: «يَهُودُ تُعَذَّبُ فِي قُبُورِهَا»(٢).

وقال الله عَزَّ وَجَلَّ في حق آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]، فأثبتَ لآلِ فرعونَ العَرْضَ على النَّارِ بالغدوّ والعشيّ قبلَ يومِ القيامةِ، وَهُوَ الذي يكون في البرزخ دون يوم القيامة.

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الصلاة باب التعوّذ من عذاب القبر (٢/ ٩٩) (ح ١٣٧٥)، وأخرجه مسلم كتاب صفة القيامة والجنة والنار، بَابُ عَرْضِ مَقْعَدِ الْمَيِّتِ مِنَ الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ عَلَيْهِ، وَإِثْبَاتِ عَذَابِ الْقَبْرِ وَالتَّعَوُّذِ مِنْهُ (١٧/ ٢٠٠).

المبحث الثامن
نهاية دار البرزخ

إذا مات الإنسان ظل في دار البرزخ معذبًا أو منعمًا حتى يأذن الله عَزَّوَجَلَّ بقيام الساعة، وخروج الناس من قبورهم للحساب بين يديه، ويتم ذلك بنفختين في الصُّوْر إحداهما إيذان بانقضاء أجل الدنيا، والأخرى إيذان بانقضاء أجل البرزخ وبداية الآخرة؛ قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

والصُّوْر قَرْن يُنفخ فيه[١] كما ثبت ذلك من حديث عبد اللهِ بن عَمْرِو بن الْعَاصِ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: مَا الصُّورُ؟ قَالَ: «قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ»[٢].

---

(١) اشتهر بينَ الناسِ - بل العلماءِ أيضا - أنَّ إسرافيلَ هو النافخُ في الصورِ يومَ القيامةِ، غيرَ أنَّ كلَ الأحاديثِ الصحيحةِ في ذكرِ المَلكِ الموكل بالنفخِ في الصورِ لم تسمه، والأحاديثُ التي ذُكِرَ فيها اسمُ المَلك وأنَّه إسرافيلُ لم يصحْ سندُهَا، فهي من بابِ المردودِ من الأحاديثِ، فالصحيح الوقوف عند ما ورد في النصوص من عدم تسمية النافخ في الصور، إذ التسمية أمر توقيفي يحتاج إلى نصّ صحيح، وهو غير موجود، ويقتصر على وصفه بأنه النافخ في الصُّوْر، أو صاحب الصُّوْر، أو صاحب القَرْن كما ورد في الأحاديث، منها حديث أبي سعيد الخُدْرِيّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفوعا: إسرافيل صاحب الصور، وجبريل عن يمينه، وميكائيل عن يساره. أخرجه أبو داود في السنن (٣٩٩٩)، وأحمد في المسند (١٧ / ١٢٣) (١١٠٦٩)، وأبو الشيخ في العظمة (٣٧٩)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٦٤). وفيه عطية العوفي وهو ضعيف (تقريب التهذيب رقم ٤٦٤٩).

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب القيامة، باب ما جاء في شأن الصور (ص ٥٤٧) (ح٢٤٣٠)، وصححه الألباني في الصحيحة (ح ١٠٨٠).

وقد ورد ذكرُ الصُّوْرِ والنفخ فيه في آياتِ القرآنِ الكريمِ ونصوصِ السنةِ الصحيحةِ، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾ [يس: ٥١]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴾ [الحاقة: ١٣ - ١٥].

وأخرج الحاكم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: إنَّ طرف صَاحِبِ الصُّور مُنْذُ وُكِلَ بِهِ مُسْتَعِدٌّ يَنْظُرُ نَحْوَ العَرْشِ مَخَافَةَ أَنْ يُؤْمَرَ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَ إِلِيْهِ طَرْفُهُ كَأَنَّ عَيْنَيْهِ كَوْكَبَانِ دُرِّيَّانِ [(١)].

عدد النفخات في الصور:

أما عن عدد النفخات في الصور، فقال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

فذكر الله عَزَّوَجَلَّ في هذه الآية الكريمة نفختين في الصور: الأولى للصعق، والثانية للبعث.

يؤيده ما أخرج مسلم في صحيحه في حديث أشراط الساعة الطويل من حديث عُروة بن مسعود الثقفي، وفيه قال رسول الله ﷺ: «ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا».

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب الأهوال (٤/ ٥٥٩)، و قال: «صحيح الإسناد»، ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣/ ٦٥) (ح ١٠٧٨).

قَالَ: «وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ» [(١)]، قَالَ: «فَيَصْعَقُ [(٢)]، وَيَصْعَقُ النَّاسُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ - أَوْ قَالَ: يُنْزِلُ اللهُ - مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ أَوْ الظِّلُّ، فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ. ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ»، قَالَ: «ثُمَّ يُقَالُ: أَخْرِجُوا بَعْثَ النَّارِ، فَيُقَالُ: مِنْ كَمْ. فَيُقَالُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ»، قَالَ: «فَذَاكَ يَوْمَ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا، وَذَلِكَ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ» [(٣)].

فدلت الآية الكريمة وهذا الحديث الصحيح أن للصور نفختين:

الأولى: نفخة الصعق: وفيها هلاك كل شيء ويكون أولها فزع وآخرها صعق كما دل عليه حديث عروة بن مسعود السابق، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾[الزمر: ٦٨].

الثانية: نفخة البعث والنشور قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس: ٥١]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ

---

(١) (أصغى ليتا ورفع ليتا) الليت - بكسر اللام وآخره مثناة من فوق - هي: صفحة العنق، وهي جانبه. و(أصغى): أَمَالَ.
قوله: «وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله» أي: يطينه ويصلحه. انظر شرح مسلم للنووي (١٨/ ٧٦).

(٢) وهذا الحديث الشريف نص صريح في أنَّ نفخةَ الفزع ونفخة الصعق نفخة واحدة، فقد ذكر أن هذا الرجل هو أول من يسمع النفخة فيفزع ويندم ثم يُصعق، ولم يذكر ﷺ نفخةً قبل هذه النفخة، وهو ما يدل عليه ظاهر القرآن، والله أعلم بما سيكون من ذلك.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذِكْر الدجال (١٨/ ٧٦).

فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ﴾ [الزمر: ٦٨].

وقال بعض العلماء: إنَّ هناك نفخة ثالثة وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ ﴾ [النمل: ٨٧]، ففسروا الفزع بغير الصعق، وجعلوا نفخة الفزع زائدة على نفخة الصعق، ومتقدمة عليها، إلا أن ظاهر حديث عُروة بن مَسعود الثَّقَفِيّ السابق يدل على أن نفخة الفزع هي نفسها نفخة الصعق الأولى وأن أولَها يكون فزعًا، وآخرها يكون صعقًا.

وقد ورد ذكر النفختين أيضًا فيما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ». قَالَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ. قَالَ: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ. قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ.

قَالَ: «ثُمَّ يُنْزِلُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً، فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ لَيْسَ مِنَ الإِنْسَانِ شَيءٌ إِلاَّ يَبْلَى إِلاَّ عَظْمًا وَاحِدًا وَهْوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1].

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «رأيت في كلام ابن العربي أنها ثلاث: نفخة الفزع كما في النمل. ونفخة الصعق كما في الزمر ونفخة البعث وهي المذكورة في الزمر أيضا. قال القرطبي: والصحيح أنهما نفختان فقط لثبوت الاستثناء

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير باب ﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا﴾ (٦/ ١٦٥) (ح ٤٩٣٥)، مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ما بين النفختين (١٨/ ٩١).

بقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ من الآيتين [١]. ولا يلزم من مغايرة الصعق للفزع أن لا يحصلا معا من النفخة الأولى ثم وجدت مستند ابن العربي في حديث الصور الطويل فقال فيه: (ثم ينفخ في الصور ثلاث نفخات نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة القيام لرب العالمين) أخرجه الطبري هكذا مختصرا وقد ذكرت أن سنده ضعيف ومضطرب» [٢].

وقال القرطبي في التذكرة: «واختلف في عدد النفخات: فقيل ثلاث: نفخة الفزع لقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾ ونفخة الصعق و نفخة البعث، لقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾.

وقيل: هما نفختان. ونفخة الفزع هي نفخة الصعق، لأن الأمرين لازمان لهما، أي فزعوا فزعا ماتوا منه. والسنة الثابتة على ما تقدم من حديث أبي هريرة وحديث عبد الله بن عمر وغيرهما يدل على أنهما نفختان لا ثلاث وهو الصحيح إن شاء الله تعالى» [٣].

وقال أبو القاسم إسماعيل الأصفهاني في ذكر عقيدة أهل السنة: «وإن الصور حق وهو قرن ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام، وهما نفختان نفخة

---

(١) انظر تفسير القرطبي (١٣/ ٢٤٠). والتذكرة للقرطبي (ص ٤٩١).

(٢) فتح الباري لابن حجر العسقلاني (٦/ ٤٤٦). ونسب ابن حجر لابن حزم أنه قال: إن النفخات أربع لكني لم أقف عليها من قول ابن حزم، انظر الفتح (٦/ ٤٤٦).

(٣) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص ٤٩١).

الصعق ونفخة البعث »[١].

وتعد نفخة الفزع والصعق إيذانًا بانتهاء الدنيا وانقضاء أجلها المحتوم، ثم تكون نفخةُ القيامِ من القبورِ إيذانًا بقيامِ القيامةِ الكبرى.

فالقيامةُ قيامتان: قيامةٌ صغرى: وهي التي تكون لكل إنسان في خاصة نفسه، من خروج روحه وفراق أهله وانقطاع سعيه في الدنيا.

والقيامة الكبرى وهي التي تعم الناس جميعًا، وتبدأ من نفخة البعث وتنتهي باستقرار أهل الجنَّة وأهل النَّار في منازِلهِمَا [٢].

---

(١) الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة (١/ ٢٣٤).

(٢) انظر التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص ٥٤٨).

المبحث التاسع
في سماع الأموات

اختلف العلماء في الأموات هل يسمعون من يخاطبهم من الأحياء أم لا؟ وهذه المسألة - أعني سماع الأموات - ينبني عليها أمر في غاية الخطورة، وهو الاستغاثة بالأموات ممن يُظنّ بهم الصلاح؛ إذ يعتقد المتقربون إليهم والسائلون لهم أو بهم عند قبورهم أنهم يسمعون كالأحياء، ولهم قدرة على إجابة الدعاء وقضاء حاجة من توسل إليهم وسألهم أو سأل بهم.

ولا نَدَّعِي التلازم بين القول بسماع الأموات والوقوع في الشرك، إلا أن الاعتقاد بسماع الأموات هو سبب من أسباب الوقوع في هذا النوع من الشرك.

وقد بلغ جهل كثير من المسلمين أنهم يطلبون من الأموات ممن يظنون فيهم الولاية والصلاح ما لا يملكه النبي ﷺ في حياته، فضلا عن مماته، فضلا عمن دونه ﷺ من شفاء المريض ورد الغائب وقضاء الحاجات، وما علموا أنَّ النبي ﷺ لا يقدر على هذه الحاجات لا في حياته ولا في مماته؛ إذ التوسل في حياته ﷺ إنما يكون بدعائه، أما الاستعانة والاستغاثة به ﷺ فهي مقتصرة على ما يقدر عليه في حياته دون ما لا يقدر عليه.

وتفصيل القول في التوسل الجائز منه والممنوع، وكذلك حكم الاستعاذة والاستعانة والاستغاثة بغير الله عَزَّوَجَلَّ ليس هذا موضعه، وإنما **المقصود بيان أنَّ الاعتقاد بسماع الأموات كان ذريعةً للشرك بالله عَزَّوَجَلَّ.**

ومما ينبغي أن نشير إليه أنَّ مسألة سماع الأموات من عدمه كغيرها من

المسائل المتعلقة بدار البرزخ غيب عنا لم نره، ولم يرجع إلينا أحد ممن عاينه فيخبرنا به، ومن ثم فهو من الأمور التي لا يعلمها إلا الله، ويقتصر في العلم بها والحديث عنها بما ثبت في القرآن الكريم أو صح من سنة النبي ﷺ.

ومن تأمل أدلة الكتاب والسنة الآتي ذكرُهَا يجد أنها تدل على عدم سماع الأموات، وليس فيها ما يدل على سماعهم سماعًا مطلقا، وغاية ما في الأدلة التي استدل بها من قال بسماع الأموات أنها تثبت لهم نوع سماع في الجملة كسمع الميت قرع نعال أصحابه، أو كمخاطبة النبي للمشركين في قليب بدر بعد بدر بثلاث، وهذا ما نقول به، وهو أن الأصل في الأموات أنهم لا يسمعون لكن هذا لا ينفي أن يكون لهم نوع سماع في حالات خاصة، وإذا أراد الله إسماعهم، أما السماع مطلقا فهذا مما لا دليل عليه بل الأدلة على خلافه.

المطلب الأول: الأدلة على عدم سماع الأموات:

الدليل الأول: قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ﴾ [النمل: ٨٠].

ووجه الاستدلال بالآية أن الله عَزَّوَجَلَّ شبه الكفار الأحياء بالموتى في عدم السماع، فلما كان الأموات لا يسمعون حقيقة شبه الله تعالى بهم الكفار الأحياء في عدم السماع كما شبههم الله عَزَّوَجَلَّ في الآية الأخرى بالصم الذين لا يسمعون أيضا فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ﴾، والمعنى كما يقول ابن جرير: «فَإِنَّكَ لَا تَقْدِرُ أَنْ تُفْهِمَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَدْ خَتَمَ اللهُ عَلَى أَسْمَاعِهِمْ، فَسَلَبَهُمْ فَهْمَ مَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ مِنْ مَوَاعِظِ تَنْزِيلِهِ، كَمَا لَا تَقْدِرُ أَنْ تُفْهِمَ الْمَوْتَى الَّذِينَ قَدْ سَلَبَهُمُ اللهُ أَسْمَاعَهُمْ، بِأَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ أَسْمَاعًا. وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ﴾ [النمل: ٨٠] يَقُولُ: وَكَمَا لَا تَقْدِرُ أَنْ تُسْمِعَ الصُّمَّ الَّذِينَ قَدْ سُلِبُوا السَّمْعَ الدُّعَاءَ، إِذَا هُمْ وَلَّوْا عَنْكَ مُدْبِرِينَ، كَذَلِكَ لَا تَقْدِرُ أَنْ تُوَفِّقَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَدْ سَلَبَهُمُ اللهُ فَهْمَ آيَاتِ كِتَابِهِ، لِسَمَاعِ ذَلِكَ وَفَهْمِهِ»(١).

الدليل الثاني: قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣ - ١٤].

فأخبر الله عَزَّوَجَلَّ أن الذين يدعون من دون الله عَزَّوَجَلَّ من الأموات من الأولياء والصالحين الذين صوروا لهم التماثيل وعبدوهم من دون الله ظنا أنهم يشفعون لهم وينفعونهم في جلب النفع ودفع الضر لا يسمعون دعاءهم

(١) تفسير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٨/ ٥٢٤).

في الدنيا، ولا ينفعونهم في الآخرة، بل يتبرؤون إلى الله من شركهم.

وقد يقول قائل إن المراد بالآية الأصنام التي يعبدها المشركون وليس الأشخاص، لكن خاتمة الآية تدل على أنها تشمل الأصنام وغيرها من المخلوقين الذين عُبدوا من دون الله من الإنس والملائكة وغيرهم، بل هي على المخلوقين أدلّ؛ لأنه جاء في خاتمتها قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴾ [فاطر: ١٤]، فليست الأصنام مكلفة ولا لها ذات تأتي يوم القيامة لتتبرأ ممن عبدها من دون الله، وإنما الذي يأتي هم أولئك الذين عبدوا من دون الله عَزَّوَجَلَّ من البشر، أو أصحاب هذه الأصنام التي صوروها على صورهم.

الدليل الثالث: حديث قَلِيْب بَدْر ففي الصحيحين عن أَنَس بن مَالِكٍ، عَنْ أَبِي طَلْحَةَ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ أَمَرَ يَوْمَ بَدْرٍ بِأَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلاً مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ، فَقُذِفُوا فِي طَوِيٍّ مِنْ أَطْوَاءِ بَدْرٍ خَبِيثٍ مُخْبِثٍ، وَكَانَ إِذَا ظَهَرَ عَلَى قَوْمٍ أَقَامَ بِالعَرْصَةِ ثَلاَثَ لَيَالٍ، فَلَمَّا كَانَ بِبَدْرٍ اليَوْمَ الثَّالِثَ أَمَرَ بِرَاحِلَتِهِ فَشُدَّ عَلَيْهَا رَحْلُهَا، ثُمَّ مَشَى وَاتَّبَعَهُ أَصْحَابُهُ، وَقَالُوا: مَا نُرَى يَنْطَلِقُ إِلَّا لِبَعْضِ حَاجَتِهِ، حَتَّى قَامَ عَلَى شَفَةِ الرَّكِيِّ، فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ: «يَا فُلاَنُ ابْنَ فُلاَنٍ، وَيَا فُلاَنُ ابْنَ فُلاَنٍ، أَيَسُرُّكُمْ أَنَّكُمْ أَطَعْتُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟»

قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا تُكَلِّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لاَ أَرْوَاحَ لَهَا؟!

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ».

قَالَ قَتَادَةُ: «أَحْيَاهُمُ اللهُ حَتَّى أَسْمَعَهُمْ قَوْلَهُ تَوْبِيخًا وَتَصْغِيرًا، وَنَقِيمَةً وَحَسْرَةً وَنَدَمًا»(١).

وأخرج البخاري عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: وَقَفَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى قَلِيبِ بَدْرٍ فَقَالَ: «هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا»؟

ثُمَّ قَالَ: «إِنَّهُمُ الآنَ يَسْمَعُونَ مَا أَقُولُ».

فَذُكِرَ لِعَائِشَةَ، فَقَالَتْ: إِنَّمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّهُمُ الآنَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِي كُنْتُ أَقُولُ لَهُمْ هُوَ الحَقُّ»، ثُمَّ قَرَأَتْ ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [النمل: ٨٠] حَتَّى قَرَأَتْ الآيَة(٢).

ووجه الاستدلال في الحديث أن النبي ﷺ قيد خطابه لهم بقوله: الآن فإن مفهومه أنهم لا يسمعون في غير هذا الوقت. وقد أنكرت أم المؤمنين هذا القول من ابن عمر لما استقر عندها أن الموتى لا يسمعون، واستدلت بنص الآية الكريمة على ذلك فظنت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن ابن عمر وَهِمَ فاستبدل كلمة بأخرى.

قَالَ ابْن التِّين: «لَا مُعَارَضَة بَين حَدِيث ابْن عمر وَالْآيَة ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [النمل: ٨٠] لِأَن الْمَوْتَى لَا يسمعُونَ بِلَا شكّ، لَكِن إِذا أَرَادَ الله تَعَالَى إسماع مَا لَيْسَ من شأنه السماع لم يمْتَنع؛ كَقَوْلِه تَعَالَى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ ...﴾ [الأحزاب: ٧٢] الْآيَة، وَقَوله تَعَالَى: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، بَابُ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى كُفَّارِ قُرَيْشٍ (٥/ ٧٦) (ح ٣٩٧٦).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب قتل أبي جَهْل (٥/ ٧٧) (ح ٣٩٨٠).

قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴾ [فصلت: ١١][١].

وقال القرطبي في التفسير: «قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: فَيُشْبِهُ أَنَّ قِصَّةَ بَدْرٍ خَرْقُ عَادَةٍ لِمُحَمَّدٍ ﷺ فِي أَنْ رَدَّ اللهُ إِلَيْهِمْ إِدْرَاكًا سَمِعُوا بِهِ مَقَالَهُ، وَلَوْلَا أَخْبَارَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِسَمَاعِهِمْ لَحَمَلْنَا نِدَاءَهُ إِيَّاهُمْ عَلَى مَعْنَى التَّوْبِيخِ لِمَنْ بَقِيَ مِنَ الْكَفَرَةِ، وَعَلَى مَعْنَى شِفَاءِ صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ»[٢].

وقد أقر النبي ﷺ عمر وغيره من الصحابة على ما كان مستقرا في نفوسهم واعتقادهم أن الموتى لا يسمعون، فقالوا: ما تكلم من أجساد لا أرواح فيها، فلم ينكر عليهم سؤالهم، ولا بين لهم خلاف اعتقادهم أن الموتى يسمعون، وإنما بين لهم أنهم «يسمعون الآن» إشارة إلى أن هذه حالة خاصة بالنبي ﷺ، وقد وافقت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عمر بن الخطاب وغيره من الصحابة في عدم سماع الأموات، وهو ما ذكره قتادة الراوي عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله: «أحياهم الله حتى أسمعهم»[٣].

الدليل الرابع: عَنْ عبد اللهِ بن مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ يُبَلِّغُونِي عَنْ أُمَّتِي السَّلَامَ»[٤].

ووجه الاستدلال به أنه صريح في أن النبي ﷺ لا يسمع سلام المسلِّمِيْن

---

(١) الآيات البينات في عدم سماع الأموات (ص٧١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) (١٣/ ٢٣٢).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه كتاب الدعوات، باب ما جاء أن لله ملائكة سياحين في الأرض (ح ٣٦٠٠) (ص ٨١٧) وصححه الألباني، والنسائي في السنن، كتاب الصلاة، بَابُ السَّلَامِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ (٣/ ٤٣) (ح ١٢٨٢).

عليه إذ لو كان يسمعه بنفسه لما كان بحاجة إلى من يبلغه إليه. وإذا كان الأمر كذلك فبالأولى أنه ﷺ لا يسمع غير السلام من الكلام، فلأن لا يسمع السلام غيره من الموتى أولى وأحرى. ثم إن الحديث مطلق يشمل مَنْ سَلَّمَ عليه عند قبره وغيره، ولا دليل صريح بالتفريق بينه وبين مَنْ صلَّى عليه بعيدا عنه(١).

---

(١) انظر مقدمة الشيخ الألباني لكتاب الآيات البينات في عدم سماع الأموات (ص ٨٥).

المطلب الثاني: الأدلة على سماع الأموات، ومناقشة ابن القَيِّم فيما ذكره في كتاب «الرُّوح»

ذهب ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المسألة الأولى من مسائل كتابه «الروح» إلى القول بسماع الأموات، جمع فيه أدلة القائلين بالسماع مؤيدًا لها، ولما كان كتاب «الروح» مرجعًا أصيلا يرجع إليه كثيرٌ من الباحثين في هذه المسألة فقد أردت مناقشة أدلة القائلين بالسماع من خلال مناقشتي لما ذكره ابن القيم.

والناظر فيما ذكره ابن القيم في هذه المسألة يجد أنَّ الأدلة التي ذكرها والتي يستدل بها القائلون بالسماع ليس فيها ما يدل على أن الميت يسمع سماعًا مطلقًا عامًّا كما كان شأنه في حياته. ويمكن تقسيم ما استدل به إلى ثلاثة أنواع:

الأول: أدلة عامة يثبت بها سماع في الجملة في حالات معينة.

والثاني: ما ورد فيه التصريح بالسماع مطلقًا.

والثالث: رؤى منامية يخبر فيها أصحابها عن الموتى أنهم يسمعون ويستأنسون بزيارة الأحياء.

أما القسم الأول: وهي أدلة عامة يثبت بها سماع في الجملة في حالات معينة:

الأول: حديث قَلِيْب بَدْر[1]، وقد سبق بيان أنه خاصّ بأهل القَلِيْب من جهةٍ، وأنه دليل على أن الأصل في الموتى أنهم لا يسمعون من جهةٍ أخرى،

---

(١) انظر: أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور (ص ١٣٢).

وأَنَّ سماعهم كان خَرْقًا للعادة.

الثاني: قول ابن القيم: **ثَبت عَنهُ ﷺ أَن الْمَيِّت يسمع قرع نعال المشيعين لَهُ إِذا انصرفوا عَنهُ**، يشير إلى قوله ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِى قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ...»(١).

وهذا خاص بوقت وضعه في قبره، ومجيء الملكين إليه لسؤاله، فلا عموم فيه.

الثالث: الاستدلال بأمر النبي ﷺ بزيارة القبور والسلام على أهلها:

يقول ابن القيم: «وَقد شرع النَّبِي لأمته إِذا سلمُوا على أهل الْقُبُور أَن يسلمُوا عَلَيْهِم سَلام من يخاطبونه فَيَقُول: السَّلَام عَلَيْكُم دَار قوم مُؤمنين، وَهَذَا خطاب لمن يَسمع وَيعْقل، وَلَوْلَا ذَلِك لَكَانَ هَذَا الْخطاب بِمَنْزِلَة خطاب الْمَعْدُوم والجماد».

وقال أيضا: «ويكفي في هذا تسمية المُسَلِّم عليهم زائرا، ولولا أنهم يشعرون به لما صح تسميته زائرا؛ فإن المزور إن لم يعلم بزيارة من زاره لم يصح أن يقال: زاره، هذا هو المعقول من الزيارة عند جميع الأمم، وكذلك السلام عليهم أيضا؛ فإن السلام على مَن لا يشعر ولا يعلم بالمسلم محال، وقد عَلَّمَ النبي ﷺ أمته إذا زاروا القبور أن يقولوا: سلام عليكم أهل الديار، وهذا السلام والخطاب والنداء لموجود يسمع ويخاطب ويعقل ويرد وإن

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر (٢/ ٩٨) (ح ١٣٧٤). وانظر في الاحتجاج بها على السماع: أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور (ص ١٣٤).

لم يسمع المسلم الرد[١].

وهذا الكلام مردود من وجهين:

الأول: ما ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ كان يزور البيت في الحج، وأنه كان وهو في الطواف يزور قُبَاء راكبا وماشيا، ومن المعلوم تسمية طواف الإفاضة بطواف الزيارة، فهل من أحد يقول بأن البيت وقُبَاء يشعر كل منهما بزيارة الزائر، أو أنه يعلم بزيارته!

الثاني: مخاطبة الصحابة للنبي ﷺ في تشهد الصلاة بقولهم «السلام عليك أيها النبي» وهم خلفه قريبا منه، وبعيدا عنه، في مسجده وفي غير مسجده، أفيقال: إنه كان يسمعهم ويشعر بهم حين يخاطبونه به وإلا فالسلام عليه محال.

أما وجه الجواب عن مخاطبة الموتى بالسلام وهم لا يسمعونه فقد ذكر الألوسي في «الآيات البيِّنَات» أن «ذَلِك أَمر تعبدي، وبأنا نسلّم سرا فِي آخر صَلَاتنَا إِذا كُنَّا مقتدين، وننوي بسلامنا الْحفظَة وَالْإِمَام وَسَائِر المقتدين، مَعَ أَن هَؤُلَاءِ الْقَوْم لَا يسمعونه لعدم الْجَهْر بِهِ، فَكَذَا مَا نَحن فِيهِ. على أَن السَّلَام هُوَ الرَّحْمَة للموتى وننزلهم منزلَة المخاطبين السامعين وَذَلِكَ شَائِع فِي الْعَرَبيَّة كَمَا لَا يخفى على العارفين فَهَذِهِ الْعَرَب تسلم على الديار وتخاطبها على بعد المزار»[٢].

أما مخاطبة الجماد وما لا يعقل فإن ورد بالشرع جوازه فلا شيء فيه،

---

(١) الروح لابن القيم (ص ١٧٩).

(٢) الآيات البينات في عدم سماع الأموات (ص ١٣٢ – ١٣٣).

ومن ذلك مخاطبة النبي ﷺ للهلال حين يراه بقوله: «ربنا وربك الله»[(١)].

القسم الثاني: **ما ورد فيه التصريح بالسماع مطلقا، وهي أحاديث مردودة لم تصح نسبة شيء منها للنبي ﷺ.**

الحديث الأول: قال ابن القيم: «قَالَ ابْن عبد البر: ثَبت عَن النَّبِي أَنه قَالَ: «مَا من مُسلم يمر على قبر أَخِيه كَانَ يعرفهُ فِي الدُّنْيَا فَيسلم عَلَيْهِ إِلَّا رد الله عَلَيْهِ روحه حَتَّى يرد عَلَيْهِ السَّلَام»، فَهَذَا نَص فِي أَنه بِعَيْنِه، وَيرد! عَلَيْهِ السَّلَام»[(٢)].

هذا الحديث ذكره ابن القيم في كتابه «الروح» معلقًا عن ابن عبد البر، ولم يذكر له سندًا، على الرغم من أن عادته فيما جاء به من الأحاديث أن يرويه بسنده، فلو كان له سند عنده لذكره، وبالبحث في كتب ابن عبد البر في «التمهيد» و«الاستذكار» وغيرهما لم أجد فيها أثرا لهذا الحديث بهذا اللفظ، فهو مردود لعدم وجود سند له نستطيع به أن نحكم عليه.

لكن ورد بألفاظ قريبة، منها حديث عبد الرحمن بن زيد بن أَسْلَم عن أبيه عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة مرفوعا و موقوفا قال: «مَا مِنْ رَجُلٍ يَمُرُّ بِقَبْرِ رَجُلٍ كَانَ يَعْرِفُهُ فِي الدُّنْيَا فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِلَّا عَرَفَهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ»؛ قال الألباني في «السلسلة الضعيفة»: أخرجه أبو بكر الشافعي في «مجلسان» (٦/ ١)، وابن جُمَيْع في «معجمه» (٣٥١)، وأبو العباس الأصم في «الثاني من حديثه» (ق ١٤٣/ ٢ ورقم ٤٣- منسوختي)، ومن طريقه الخطيب في

(١) السابق (ص ١٣٢).

(٢) الروح (ص ١٦٧).

«التاريخ» (٦/ ١٣٧)، وتمام في «الفوائد» (٢/ ١٩/ ١)، وعنه ابن عساكر (٣/ ٢٠٩/ ٢ و٨/ ٥١٧/ ١)، والديلمي (٤/ ١١)، والذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٢/ ٥٩٠) عن عبد الرحمن بن زيد بن أَسْلَم، عن أبيه، عن عطاء بن يَسَار، عن أبي هريرة مرفوعًا.

ثم قال: «هذا إسناد ضعيف جدًّا؛ عبد الرحمن بن زيد متروك، وساق الذهبي في ترجمته هذا الحديث في جملة ما أنكر عليه. وقد توبع عليه، لكن في الطريق مَن لا يحتجّ به فقال ابن أبي الدنيا في كتاب «القبور»: حدثنا محمد بن قدامة الجوهري حدثنا معن بن عيسى القزاز أخبرنا هشام بن سعد حدثنا زيد بن أسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إذا مَرَّ الرجلُ بقبرِ أخيه يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام وعرفه، وإذا مر بقبر لا يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام»».

قال الألباني: «ومع كونه موقوفًا على أبي هريرة فإنه منقطع وضعيف: أما الانقطاع؛ فلأن زيد بن أسلم لم يسمع منه كما قال ابن معين. وأما الضعف فهو من الجوهري هذا؛ قال ابن معين: ليس بشيء، وقال أبو داود: ضعيف لم أكتب عنه شيئا قط.

قلت - أي الألباني -: وللحديث شاهد من حديث ابن عباس صححه البعض، فوجب تحرير القول فيه بعد أن يسر الله لي الوقوف على إسناده في مخطوطة المحمودية في المدينة النبوية، فقال الحافظ ابن عبد البر في «شرح الموطأ» (١/ ١٤٧/ ١): أخبرنا أبو عبد الله عبيد بن محمد - قراءة مني عليه سنة تسعين وثلاثمائة في ربيع الأول - قال: أَمْلَت علينا فاطمة بنت الريان المخزومي المستملي - في دارها بمصر في شوال سنة اثنتين وأربعين

وثلاثمائة - قالت: أخبرنا الربيع بن سليمان المؤذن - صاحب الشافعي -: أخبرنا بشر بن بكر، عن الأوزاعي، عن عطاء، عن عبيد بن عمير، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ... فذكره.

قلت: وهذا إسناد غريب؛ الربيع بن سليمان فمَنْ فوقه ثقات معروفون من رجال «التهذيب»، وأما مَنْ دونه فلم أعرفهما، لا شيخ ابن عبد البر، ولا المملية فاطمة بنت الريان، وظني أنها تفردت - بل شذت - بروايتها الحديث عن الربيع بن سليمان بهذا الإسناد الصحيح له عن ابن عباس؛ فإن المحفوظ عنه إنما هو الإسناد الأول.

كذلك رواه الحافظ الثقة أبو العباس الأصم السابق الذكر، قال: حدثنا الربيع بن سليمان حدثنا بشر بن بكر، عن عبد الرحمن بن زيد.. بإسناده المتقدم عن أبي هريرة. وكذلك هو عند تمام من طريقين أخريين عن الربيع به.

ومن هذا التحقيق يتبين أن قول عبد الحق الإشبيلي في «أحكامه» (٨٠/ ١): «إسناده صحيح» هو قول غير صحيح، وإِنْ تَبِعَهُ العراقي في «تخريج الإحياء» (٤/ ٤١٩ - حلبي)، وأقره المُنَاوِيّ! وأما الحافظ ابن رجب الحنبلي فقد رده في «أهوال القبور» (ق ٨٣/ ٢) بقوله: «يُشير إلى أن رواته كلهم ثقات، وهو كذلك؛ إلا أنه غريب، بل منكر... »، ثم ساق حديث أبي هريرة مرفوعًا في شهداء أحد: «أشهد أنكم أحياء عند الله، فزوروهم وسلموا عليهم، فو الذي نفسي بيده! لا يسلم عليهم أحد إلا ردوا عليه إلى يوم القيامة»، وأعله بالاضطراب والإرسال»[1].

---

(١) انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني (٩/ ٤٧٣) وما بعدها.

قلت: فإذا تبين هذا التخريج الوافي والتتبع الدقيق لطرق الحديث تبين بطلان قول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «الروح» تعليقا عليه: «فهذا نص في أنه يعرفه بعينه ويرد عليه السلام».

نعم هذا نص فيما ذكر، لكنه ضعيف جدا فأنى يحتج به ؟

– **الحديث الثاني**: قال ابن القيم: «قَالَ أَبُو بَكْرٍ عبد الله بن مُحَمَّدِ بن عُبَيْدِ ابْنِ أَبِي الدُّنْيَا فِي «كِتَابِ الْقُبُورِ»: «بَابٌ فِي مَعْرِفَةِ الْمَوْتَى بِزِيَارَةِ الْأَحْيَاءِ»: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بن عَوْنٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بن يَمَانٍ، عَنْ عبد الله بن سَمْعَانَ، عَنْ زَيْدِ بن أَسْلَمَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا مِنْ رَجُلٍ يَزُورُ قَبْرَ أَخِيهِ وَيَجْلِسُ عِنْدَهُ إِلَّا اسْتَأْنَسَ بِهِ وَرَدَّ عَلَيْهِ، حَتَّى يَقُومَ»[1].

قلت: هذا حديث ضعيف جدًا فيه:

١- محمد بن عون الذي سمع منه ابن أبي الدنيا الحديث، وهو أبو عبد الله الخراساني قال ابن حجر في «تهذيب التهذيب»: قال ابن معين وأبو داود: «ليس بشيء»، وقال البخاري: «منكر الحديث»، وقال النسائي: «ليس بثقة»، وقال مرة: «متروك الحديث»، وقال أبو زرعة: «ضعيف الحديث ليس بقويّ»، وقال أبو حاتم: «ضعيف الحديث، منكر الحديث»[2].

٢- يحيى بن يَمَان، قال ابن حجر في «التقريب»: «يحيى بن يَمَان العجلي الكوفي صدوق عابد يخطئ كثيرا، وقد تغير»[3].

(١) الروح (ص١٦٩، ١٧٠).

(٢) تهذيب التهذيب (٩/ ٣٨٤).

(٣) تقريب التهذيب (١/ ٥٩٨).

٣- عبد الله بن سَمْعَان، وهو عبد الله بن زياد بن سليمان بن سمعان المخزومي المدني، قال ابن حجر في «التقريب»: «متروك، اتهمه أبو داود وغيره بالكذب»[١].

وقال الذهبي في «الكاشف»: «عبد الله بن زياد بن سمعان المدني الفقيه أحد المتروكين، كذَّبه مالك»[٢].

قال الحافظ ابن رجب في «أهوال القبور»: «رواه عبد الله بن سمعان، وهو متروك»[٣].

وقال الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان»: «عبد الله بن سمعان: ذكره شيخي العراقي في تخريج الإحياء في حديث عائشة، وقال: وفي سنده عبد الله بن سمعان لا أعرف حاله. قلت: يجوز لاحتمال أن يكون هو المخرّج له في بعض الكتب، وهو عبد الله بن زياد بن سمعان، يُنسب إلى جده كثيرًا، وهو أحد الضعفاء»[٤].

٤- الانقطاع بين زيد بن أسلم وأم المؤمنين عائشة: قال الذهبي في «السِّيَر»: وحدث عنها - أي أم المؤمنين عائشة - زيد بن أسلم وسالم بن أبي الجعد ولم يسمعا منها[٥].

(١) تقريب التهذيب (١/ ٣٠٤).
(٢) الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة (١/ ٥٥٣).
(٣) أهوال القبور ص (١٤٣).
(٤) لسان الميزان (٣/ ٢٩٧).
(٥) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٣٦).

فتبين من حال رجال هذا الحديث أنه ضعيف جدا لا يصح الاحتجاج به، فضلا عن معارضته حديث أم المؤمنين عائشة الذي تأولت فيه حديث ابن عمر، وأنكرت سماع الموتى وتكليم النبي لهم يوم بدر، وسيأتي.

الحديث الثالث: قال ابن القيم: قال ابن أبي الدنيا: حَدثنَا مُحَمَّد بن قدامَة الجوهري حَدثنَا معن بن عِيسَى الْقَزاز أخبرنَا هِشَام بن سعد حَدثنَا زيد بن أسلم عَن أَبى هُرَيْرَة رضى الله تَعَالَى عَنهُ قَالَ: «إِذا مر الرجل بِقَبْر أَخِيه يعرفهُ فَسلم عَلَيْهِ رد عَلَيْهِ السَّلَام وعرفه وَإِذا مر بِقَبْر لَا يعرفهُ فَسلم عَلَيْهِ رد عَلَيْهِ السَّلَام»[1].

وقد سبق الحديث عنه عند الكلام على الحديث الأول، وبينا أنه مع كونه مرفوعًا فهو ضعيف منقطع: أما الانقطاع فزيد بن أسلم لم يسمع من أبي هريرة، وأما الضعف فلأجل الجوهري.

الحديث الرابع: وقد استدل به القائلون بالسماع، ولم يذكره ابن القيم، وهو ما أخرجه الحاكم من حديث الْعَطَّافُ بن خَالِدٍ الْمَخْزُومِيُّ، حَدَّثَنِي عبد الأَعْلَى بن عبد اللهِ بن أَبِي فَرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ زَارَ قُبُورَ الشُّهَدَاءِ بِأُحُدٍ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّ عَبْدَكَ وَنَبِيَّكَ يَشْهَدُ أَنَّ هَؤُلَاءِ شُهَدَاءُ، وَأَنَّهُ مَنْ زَارَهُمْ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ رَدُّوا عَلَيْهِ».

قَالَ الْعَطَّافُ: وَحَدَّثَتْنِي خَالَتِي أَنَّهَا زَارَتْ قُبُورَ الشُّهَدَاءِ، قَالَتْ: وَلَيْسَ مَعِي إِلَّا غُلَامَانِ يَحْفَظَانِ عَلَيَّ الدَّابَّةَ، قَالَتْ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِمْ فَسَمِعْتُ رَدَّ السَّلَامِ، قَالُوا: وَاللهِ إِنَّا نَعْرِفُكُمْ كَمَا يَعْرِفُ بَعْضُنَا بَعْضًا، قَالَتْ: فَاقْشَعْرَرْتُ،

---

(١) الروح (ص ١٧٠).

فَقُلْتُ: يَا غُلَامُ ادْنُ بَغْلَتِي فَرَكِبْتُ[(١)].

قال الحاكم: «وهَذَا إِسْنَادٌ مَدَنِيٌّ صَحِيحٌ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، وردَّه الذهبي فقال: مرسل، وهو الحق، والعطاف راويه عن عبد الأعلى بن عبد الله بن أبي فَرْوَة صدوق يهم؛ كما في «التقريب»[(٢)].

وقال ابن رجب في «الأهوال»: «روي مرسلا، وبالجملة فهذا إسناد مضطرب»[(٣)].

الحديث الخامس: لم يذكره ابن القيم، واستدل به القائلون بالسماع، وهو ما أخرج الْعقيلِيّ عَن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ أَبُو رزين: يَا رَسُول الله إِن طريقي على الْمَوْتَى فَهَل من كَلَام أَتكَلّم بِهِ إِذا مَرَرْت عَلَيْهِم؟

قَالَ: «قُلْ: السَّلَام عَلَيْكُم يَا أهل الْقُبُور من الْمُسلمين وَالْمُؤمنِينَ، أَنْتُم لنا سلف، وَنحن لكم تبع، وَإِنَّا إِن شَاءَ الله بكم لاحقون».

قَالَ أَبُو رزين: يَا رَسُول الله يسمعُونَ؟ قَالَ: «يسمعُونَ، وَلَكِن لَا يستطيعون أَن يجيبوا».

قَالَ: «يَا أَبَا رزين أَلا ترْضى أَن يرد عَلَيْك بعددهم من الْمَلَائِكَة»[(٤)].

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٣١)، والبيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٣٠٧)، عن عبد الله بن أبي فروة مرسلا. وهو إسناد ضعيف للإرسال، ولجهالة عبد الله بن أبي فروة. (انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٠ / ١٩٦ - ١٩٧)، تعجيل المنفعة لابن حجر (ص ٢٣٣)، (٥٧٦).

(٢) انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني (١١/ ٣٦٩).

(٣) انظر: أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور (ص ١٤٢).

(٤) أخرجه العقيلي في «الضعفاء» (٤/ ١٩)، من طريق محمد بن الأشعث عن أبي سلمة عن =

قال ابن رجب في «الأهوال»: «أخرجه العقيلي وقال: لا يعرف هذا اللفظ إلا بهذا الإسناد، ومحمد بن الأشعث مجهول في النسب والرواية، وحديثه غير محفوظ»[1].

قال الشيخ الألباني في «السلسلة الضعيفة»: «أخرجه العقيلي في «الضعفاء» (٣٦٩) وعبد الغني المقدسي في «السنن» (ق ٩٢: ٢) عن النجم بن بشير بن عبد الملك بن عثمان القرشي حدثنا محمد بن الأشعث عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال:

«قال أبو رزين: يا رسول الله: إن طريقي على المقابر فهل من كلام أتكلم به إذا مررت عليهم؟ قال... » فذكره. وقال العقيلي والزيادة له: «محمد بن الأشعث مجهول في النسب والرواية، وحديثه هذا غير محفوظ، ولا يُعرف إلا بهذا الإسناد. وأما: «السلام عليكم يا أهل القبور ... » إلى قوله: «وإنا إن شاء الله بكم لاحقون» فيُروى بغير هذا الإسناد من طريق صالح، وسائر الحديث غير محفوظ».

والنجم بن بشير أورده ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٤/ ١) ولم

=

أبي هريرة، به. وأعله العقيلي بمحمد بن الأشعث فقال: «محمد بن الأشعث مجهول في النسب والرواية، وحديثه غير محفوظ»، وأقره ابن رجب في «أهوال القبور» ص (١٤١)، والذهبي في الميزان (٦/ ٧٤)، وابن حجر في اللسان (٥/ ٨٤). وحكم الألباني على الحديث بالنكارة في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (٣/ ٢٨٤) (ح ١١٤٧).

(١) أهوال القبور لابن رجب (ص ١٤١) وانظر أيضًا، شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور للسيوطي (ص ٣٠١).

يذكر فيه جرحا ولا تعديلا.

قلت: فهو بهذه الزيادة منكر، لتفرد هذا المجهول بها، وأما بدونها فهو حديث صحيح أخرجه مسلم من حديث عائشة وبُرَيْدَة[1].

القسم الثالث مما استدل به ابن القيم على إثبات سماع الأموات عدد كبير من المنامات يعضد بها ما ذكره من الأحاديث، وقد تبين لنا فيما مضى ضعف هذه الأحاديث التي فيها التصريح بمطلق السماع، فهذا باب لم يصح فيه شيء، فإذا كان الأصل الذي اعتمد عليه مردودًا فما عضده به من الفرع مردود أيضًا.

فبعد ذكر ابن القيم للأحاديث التي استدل بها على مُطلق السماع ذكر عددا كبيرًا من المنامات، ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَهَذِه المرائي وَإِن لم تصح بمجردها لإثبات مثل ذَلِك فهي على كثرتها، وَأَنَّهَا لَا يحصيها إِلَّا الله قد تواطأت على هَذَا الْمَعْنى، وَقد قَالَ النَّبِي: «أرى رؤياكم قد تواطأت على أَنَّهَا فِي الْعشْر الْأَوَاخِر»، يَعْنِي: لَيْلَة الْقدر، فَإِذا تواطأت رُؤْيا الْمُؤمنِينَ على شَيْء كَانَ كتواطؤ روايتهم لَهُ، وكتواطؤ رَأْيهمْ على استحسانه واستقباحه، وَمَا رَآهُ الْمُسلمُونَ حسنًا فَهُوَ عِنْد الله حسن، وَمَا رَأَوْهُ قبيحًا فَهُوَ عِنْد الله قَبِيح. على أَنا لم نثبت هَذَا بِمُجَرَّد الرُّؤْيَا بل بِمَا ذكرْنَاهُ من الْحجَج وَغَيرهَا.

قلت: أما الحجج فهي ضعيفة، وأما الرؤى فلا يمكن أن تكون مستندًا لحكم شرعي وإن توطأت، لأنَّ العبرة بإقرار النبي ﷺ وتشريعه لأمته.

ولا يجوز لمن بعده أن يعتد بالرؤيا وإن تواطأت، فإن إثبات هذا التواطؤ

(١) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٣/ ٢٨٤) (ح ١١٤٧).

بعيد، وصِدْق المخبِر وأمانته وديانته أمر غير متحقق، وربما يكون للشيطان مدخل فيما يرى النائم، فيأتي لأشخاص متعددين يلبس عليهم في قضية بعينها، فضلا عن ذلك فإنَّ إقرار الشارع بعد وفاة النبي ﷺ ممتنع.

قال الشاطبي في «الاعتصام»: «الرؤيا من غير الأنبياء لا يحكمُ بها شرعًا على حال إلا أن تعرض على ما في أيدينا من الأحكام الشرعية، فإن سوغتها عُمِلَ بمقتضاها، وإلا وجب تركها والإعراض عنها، وإنما فائدتها البشارة أو النذارة خاصة، وأما استفادة الأحكام فلا»(١).

أما استدلاله بقول النبي ﷺ: «أرى رؤياكم قد تواطأت على أَنَّهَا فِي الْعشْر الْأَوَاخِرِ يَعْنِي لَيْلَة الْقدر» فلم تكن الرؤيا وحدها هي مستند النبي ﷺ في تعيين ليلة القدر، لأن النبي ﷺ يستند إلى الوحي، وإنما استأنس ﷺ بهذه الرؤيا، ولو أخطأ ﷺ في هذا التعيين لوجهه الوحي إلى الصواب كما حدث ذلك في غير ما واقعة كان النبي يجتهد برأيه ثم يقوم بالوحي، فالحجة في إقراره للرؤيا وتأكيده لمحتواها وأنى ذلك بعد وفاته ﷺ.

ولا يمكن قياس غيره عليه في ذلك لأنه مؤيد بالوحي، يدل على ذلك أيضًا أن النبي ﷺ ربما استأنس برؤيا أصحابه إذا تواطأت، وربما استأنس برؤيا بعضهم وإن لم تتواطأ كما استأنس برؤيا عبد الله بن زيد بن عبد ربه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الأذان، وأخذ بالأذان فيها مع أن تلك الرؤيا لم يتواطأ عليها جماعة من الصحابة، إذًا فالمعتمد ليس في الرؤيا إذا تواطأت، وإنما المعتمد إقرار النبي ﷺ.

---

(١) الاعتصام للشاطبي (١/ ٣٣٢).

أما قول ابن القيم: «على أَنا لم نثبت هَذَا بِمُجَرَّد الرُّؤْيَا بل بِمَا ذَكرْنَاهُ من الْحجَج وَغَيرهَا» فما ذكره من الحُجَج المصرّحة بمطلق السماع والتي أيدها بهذه الرؤى ضعيفة واهية لم يصحّ منها شيء، وما صحَّ منها كحديث سماع الميت قرع النعال وكحديث مخاطبة النبي ﷺ لموتى المشركين في القَلِيْب لا يدلان على مطلق السماع، وإنما سماع خاص في حالات معينة فيقتصر عليها، ولا يُستدل بها على التعميم إذ لم نجد للقائلين به دليلا صحيحا يؤيده.

نتائج البحث

١) وجوب الإيمان بدار البرزخ وما يكون فيها مما أخبرت به النصوص من الكتاب والسنة، وتبدأ بخروج الروح من الجسد، ويظل في دار البرزخ معذبًا أو منعمًا حتى يأذن الله عَزَّوَجَلَّ بقيام الساعة وخروج الناس من قبورهم للحساب بين يديه بعد نفخة الصور الثانية.

٢) وجوب الإيمان بما أخبرت به النصوص من عذاب القبر ونعيمه، ولا يُتأول ذلك على خلاف ظاهره، وأنه يكون لهذه الأمة ولغيرها من الأمم.

٣) يختلف مستقر الأرواح بعد مفارقة الجسد في الدنيا على مراتب متعددة أعلاها أرواح الأنبياء، ثم الشهداء، ثم المؤمنون، ويدخل معهم أطفال المسلمين وأطفال المشركين.

٤) مستقر أرواح عصاة المؤمنين في النار، وقد يخفف عنهم العذاب، وقد ينتهي بفضل الله وبرحمته، أما مستقر أرواح الكافرين ففي النار، وهم معذبون في قبورهم كما ثبت بالأحاديث الصحيحة.

٥) الأصل في الموتى أنهم لا يسمعون سماعا مطلقا لكن الله يسمعهم إن أراد ذلك، كسمع الميت قرع نعال أصحابه، وكسماع المشركين في قليب بدر، ويقتصر في ذلك على ما وردت به الأدلة.

٦) لا يوجد لمن رأى أن الموتى يسمعون مطلقا دليل صحيح يحتج به على هذه المسألة، فهذا باب لم يصح فيه شيء.

قائمة المراجع

١- الآيات البينات في عدم سماع الأموات، نعمان محمود الألوسي، حققه وقدم له وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف بالرياض، الطبعة الثالثة.

٢- أحكام الجنائز وبدعها، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف بالرياض، الطبعة الأولى للطبعة الجديدة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٣م.

٣- الاعتصام، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق: سَليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٤- إعلام الموقعين عن رب العالمين،: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥- أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الدمشقي الحنبلي، خرج أحاديثه وعلق عليه: خالد عبداللطيف السبع، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٦- تاج العَروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية.

٧- التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق ودراسة: الدكتور: الصادق بن محمد بن إبراهيم، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ.

٨- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م

٩- تقريب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد - سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٠- تهذيب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ.

١١- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

١٢- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢ م

١٣- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة،الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

١٤- جامع البيان عن تأويل آي القرآن = تفسير الطبري، محمد بن جرير أبو جعفر الطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.

١٥- الحجة في بيان المحجة، أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني، تحقيق محمد بن ربيع المدخلي، دار الراية للنشر والتوزيع، بدون ذكر الطبعة أو سنة الطبع.

١٦- الروح، محمد بن أبي بكر بن أيوب، شمس الدين ابن قيم

الجوزية، تعليق: إبراهيم رمضان، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٩٦م.

١٧- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف بالرياض.

١٨- سنن أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليها: محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف، الطبعة الثانية.

١٩- سنن البيهقي، السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر البيهقي، محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م.

٢٠- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليها: محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى.

٢١- سنن ابن ماجة، أبو عبد الله بن يزيد القزويني الشهير بابن ماجة، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليها: محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى.

٢٢- سنن الدارقطني: أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني، حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤م.

٢٣- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين، بإشراف: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة،

١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

٢٤- شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار، تحقيق: د. عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٢٥- شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد المجيد طعمة حلبي، دار المعرفة - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

٢٦- صحيح البخاري= الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجُعْفِيّ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٧- صحيح ابن حبان، محمد بن حبان البُستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

٢٨- صحيح مسلم بشرح النووي، المطبعة المصرية بالأزهر، الطبعة الأولى، ١٣٤٧هـ - ١٩٢٩م.

٢٩- طبقات المعتزلة، ابن المرتضى ت. سوسنة - ديفيلد فيلزر، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٣٠- الكاشف في معرفة مَنْ له رواية في الكتب الستة، أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: محمد عوَّامَة، دار القبلة للثقافة الإسلامية، و مؤسسة علوم القرآن، جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٣١- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة

الأولى، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

٣٢- لسان العرب، جمال الدين ابن منظور، دار صادر - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

٣٣- لسان الميزان، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ومؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ -١٩٧١م

٣٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.

٣٥- معجم المناهي اللفظية، بكر أبو زيد، دار العاصمة، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

٣٦- موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس المدني، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥م.

٣٧- المختصر في أصول الدين، ضمن رسائل العدل والتوحيد، ت. د. محمد عمارة، دار الشروق، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م.

٣٨- معاني القرآن، أبو يحيى بن زياد الفراء، عالم الكتب، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

فهرست الموضوعات